الاحتجاج بالقراءات الشاذة
لمعاني القراءة المتواترة عند أبي زرعة

إعداد الدكتور

جمعة حمدي سالم

مدرس بقسم القراءات
في كلية القرآن الكريم بطنطا

الاحتجاج بالقراءة الشاذة
لمعاني القراءة المتواترة عند أبي زرعة

جمعة حمدي سالم

قسم القراءات كلية القرآن الكريم بطنطا – جامعة الأزهر – مصر .

البريد الالكتروني : gomaasalem@azhar.edu.eg

الانشغال بالقرآن الكريم ، ودراسة علومه ، وخاصة علم القراءات ، شرف للباحثين ، وغاية للمحبين، ويعدّ الإمام أبو زرعة – رحمه الله – من أوائل المؤلفين في فنّ الاحتجاج للقراءات القرآنية وتميز كتابه (حجة القراءات) بالدقة والإتقان .

وألقى البحث الضوء على لون من ألوان الاحتجاج لمعاني القراءة المتواترة وهو الاحتجاج لها بقراءة شاذة ، توافقها في معناها، وتقترب من لفظها.

الكلمات المفتاحية : الاحتجاج – القراءات – الشاذة– المتواترة – أبو زرعة .

Invoking the abnormal reading of the meanings of frequent reading according to Abu Zara'

Gomaa Hamdi Salem

Department of Readings, College of the Holy Quran, Tanta – Al-Azhar University– Egypt .

Email: gomaasalem@azhar.edu.eg

Abstract:

Preoccupation with the Holy Qur'an, and studying its sciences, especially the science of readings, is an honor for researchers, and Imam Abu Zara'a - may God have mercy on him – is considered a difference in the argument for Qur'anic readings and the distinction of his book (the argument of readings) with accuracy and perfection.

The research sheds light on the color of the colors of protest for the meanings of the frequent reading, which is the protest for an odd reading that agrees with its meaning and is close to its pronunciation.

key words: Al-Ihtijaj - Abnormal Readings - Frequently - Abu Zara'a

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا نبينا محمد – ﷺ– وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فإن القرآن الكريم أعظم وأجل كتاب في الوجود كيف لا وهو كلام الله – عز وجل – الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ ، والقرآن الكريم منبع العلوم، وقوامها الأساسي، ومصدرها الرئيسي، كان القرآن الكريم ولا يزال قبلة العلماء والدارسين، ومناراً يضئ الطريق أمام الباحثين، وغايةً عظمى يقصدها المفكرون، والانشغال بعلوم القرآن الكريم شرف لا يضاهيه شرف، وهدفٌ سامٍ لا يرقى إليه هدف، وقراءات القرآن الكريم المتواترة بعلومها المتنوعة هي الأخرى ينابيعُ خيرٍ تفيض يوماً بعد يوم على المنشغلين بها من ثمرات الهدى والعلم .

وكانت إحدى الثمرات التي نُتِجت وقُطِفت من علم القراءات القرآنية ما أفاض به شيخُنا عَلامةُ عصره، ومنارة زمانه، الإمام الجليل أبو زُرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة – رحمه الله تعالى –، وذلك حينما ألّفَ دُرَّةَ المصنفات (حجة القراءات)، هذا الكتاب الذي يُعدّ كتاباً جامعاً لقراءات الأئمة السبعة : نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، أو لأحد رواتهم المشهورين، وإلى جانب هذه القراءات المتواترة يجد القارئُ نفسه أمام موسوعةٍ علميةٍ شاملةٍ للتفسير، والتوجيه، واللغة، والحديث، ورسم المصحف الشريف، وبعض مذاهب أئمة الفقه، وغيرها، فهو كتابٌ جامعٌ شامل للقراءات وعلومها، وقد أودع فيه صاحبُه أقوال العلماء والمفسرين وغيرهم، واستشهد بما ورد عن العرب من أقوالهم وأشعارهم، وسار على نهج تميز بالأسلوب الواضح الدقيق، والشرح الوافي، دون إطالة مملة أو إيجاز مخلّ .

والشيخ أبو زُرعة – رحمه الله – وضع قارئَ كتابه (حجة القراءات) نُصْبَ عينيه، لينهل منه ما يريده من القراءات المتواترة وعلومها .

وأثناء قراءاتي لبعض كتب توجيه القراءات القرآنية، والاحتجاج لها، أمعنت النظر في كتاب (حجة القراءات) لأبي زُرعة– رحمه الله – ووجدت أن هذا العالم الجليل تميز في أمر غاية في الأهمية وهو : الاحتجاج للقراءة المتواترة التي يذكرها، فهو يذكر أولاً اللفظ القرآن ي ثم يبدأ في بيان مذاهب القراء السبعة فيها ، وكيفية قراءتهم لهذا اللفظ فيقول مثلاً : " قرأ نافع وابن كثير بـ .... ثم يذكر القراءة، ثم يذكر حجة القراءة فيقول : "وحجتهم .. ، وبعد أن ينتهي يشرع في بيان مذهب بقية القراء السبعة، وبعد أن أمعنت النظر أكثر وتدبرت كتابه رأيت أن الشيخ احتج بالقراءة الشاذة الواردة عن أحد الصحابة – رضي الله عنهم – لمعنى القراءة المتواترة التي أوردها وقام بتوجيهها، وهو في صنيعه هذا لا يَعْمَدُ أبداً إلى أن يجعل للقراءة الشاذة الآحادية سبيلاً على القراءة المتواترة – حاشاه ذلك –، وإنما غاية ما أراده الشيخ هو الاحتجاج بالقراءة الشاذة لمعنى القراءة المتواترة تقوية لها، وترجيحاً لمعناها، وإثراءً لوجهها الذي قُرِئت به، وإلا فالقراءة المتواترة لا تحتاج من يحتجّ لها، ولا تنتظر من يقوّيها، إذ هي في نفسها قرآنٌ متواترٌ ثابتٌ صحيحٌ عن رسول الله – ﷺ –، فاحتجاج الشيخ أبي زُرعة – رحمه الله – بها كامنٌ في إضافة المعنى، وإثراءه، وترجيح كَفّة الوجه الذي قُرِئت به، وكانت القراءة الشاذة موافقة له .

من هنا جاءت أهمية هذا البحث وتَلَخّصت في إبراز جهود الإمام أبي زُرعة – رحمه الله –، واحتجاجه بالقراءة الشاذة كدليل يعضّدُ معنى القراءة المتواترة، وذلك في الربع الأول من القرآن الكريم، من أوله إلى آخر سورة الأنعام .

أسباب اختيار الموضوع

هناك بعض الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع ومن أهمها :

١- مسألة الاحتجاج بالقراءات الشاذة لمعاني القراءات المتواترة تُعَدُّ أمراً غريباً على أهل هذا الفن الذين اعتادوا أن تكون القراءة المتواترة في الصدارة، ويُحتجّ بها دون القراءة الشاذة، وهو عين ما أراده الشيخ العلامة أبو زُرعة- رحمه الله – أبقى القراءة المتواترة في الصدارة، وَوَجَّهها من نواحي عدة، ثم احتج بقراءة شاذة تثري معناها وتوضّحه – لا أكثر من ذلك –، خاصّة أن القراءات الشاذة غالبها قراءات وأحرف كانت موجودةً في مصاحف الصحابة –رضي الله عنهم –، وهي مصاحف خاصة بهم حوت إلى جانب القرآن الكريم الكثير من المعاني، والتفسير، والأدعية، والمأثورات، وغيرها، لذا استشهد بها كثيرٌ من علماء القراءات، والتفسير، واللغة، والفقه .

٢- كتاب (حجة القراءات) لأبي زُرعة – رحمه الله – ضَمّ إلى جانب القراءات قضايا عديدة مهمة كـ : التوجيه للقراءة، وذكر الحجة لها، وبيان وجهها الإعرابي إن دعت الحاجة إلى ذلك، وبيان معناها الدّلالي، والدفاع عنها إن طُعِنَ فيها، وأيضاً رسمها في المصحف الشريف، وهو في كل ذلك يوازن بين أقوال العلماء، والمفسرين، واللغويين، وغيرهم، فهو بحقّ موسوعة علمية غاية في الدقة والإتقان .

٣- إن كانت المصادر العلمية، وكتب التراجم والسير، وغيرها على اتسَّاعها وتنوّعها أهملت حياة الشيخ أبي زُرعة – رحمه الله –، إلا أن مصنفاته تنبئ عن شخصيةٍ واسعةِ الاطّلاع ، متبحرةٍ في فنون شتّى، مقرئٍ حاذقٍ، لغويٍ بارعٍ، مفسرٍ جامعٍ، وهو مؤلف (حجة القراءات) الشيخ أبو زُرعة – رحمه الله –، فمصنّفاته خيرُ إرثٍ وخيرُ شاهد على علم هذا الإمام الجليل .

لكل هذه الأسباب وغيرها أردت إبراز جهود هذا العالم الجليل في جانب من جوانب كتابه (حجة القراءات)، وهو : قضية (احتجاجه بالقراءات الشاذة للمعاني الواردة في القراءات المتواترة)، وهو أمرٌ لم أجد بعد البحث من تعرَّضَ له، لذا أفردته بالبحث وأدعو الله – عز وجل – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم،

وأن ينفع به، وأن يجعله في ميزان حسناتي – آمين – **وقد جاءت موضوعات هذا البحث مقسمة على النحو التالي :**

أولاً : المقدمة وتشمل : أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، وخطة البحث، ومنهجه، والدراسات السابقة .

ثانياً : التمهيد : وهو في **التعريف بمصطلحات البحث،** ويحوي مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالقراءات المتواترة والشاذة وتحت عدة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالقراءات المتواترة .

المطلب الثاني : التعريف بالقراءات الشاذة .

المطلب الثالث : حكم القراءة بالشاذ .

المبحث الثاني : حياة الإمام أبي زُرعة – رحمه الله – وتحته عدة مطالب :-

المطلب الأول : اسمه ونسبه .

المطلب الثاني : نشأته وشيوخه .

المطلب الثالث : مصنفاته .

المطلب الرابع : وفاة الشيخ أبي زُرعة – رحمه الله – .

ثالثاً : الاحتجاج بالقراءات الشاذة لمعاني القراءات المتواترة في (حجة القراءات) لأبي زُرعة – رحمه الله – وتحته أربعة مباحث : –

المبحث الأول : احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة لمعاني القراءات المتواترة الواردة في سورة البقرة .

المبحث الثاني : احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة لمعاني القراءات المتواترة الواردة في سورة آل عمران .

المبحث الثالث : احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة لمعاني القراءات المتواترة الواردة في سورة المائدة .

المبحث الرابع : احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة لمعاني القراءات المتواترة الواردة في سورة الأنعام .

رابعاً : الخاتمة وتحوي :

أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، وأهم المصادر والمراجع ، والفهارس العلمية .

منهج البحث

اتّبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على إيراد الآية القرآنية المرادة ثم بيان اللفظ المشتمل على قراءات الأئمة السبعة ، وكيفية قراءتهم له ، ثم أذكر احتجاج أبي زُرعة – رحمه الله – بالقراءات الشاذة لمعاني القراءة المتواترة الواردة في اللفظ ، وأبيّن أسباب احتجاج أبي زُرعة بهذه القراءة الشاذة ، والهدف من وراء ذلك ، حتى أصل إلى حقيقة ما أراده ، وأذكر ما أراه مناسباً لبعض آراء العلماء من اللغويين والمفسرين، وكذا علماء توجيه القراءات القرآنية ، وغيرهم ، وأوازن بينهما.

الدراسات السابقة

بعد البحث وجدت بعض الدراسات التي تعلقت بكتاب(حجة القراءات) للشيخ أبي زُرعة – رحمه الله – وهذه الدراسات وهي :-

١- الاحتجاج للقراءات في كتاب حجة القراءات للشيخ أبي زُرعة ابن زنجلة ، وهو بحث نال به صاحبه درجة (الماجستير) في جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، وهي للباحث : على بن عامر بن علي الشهري، وقد اطّلعت عليه ، ووجدت أنه لم يتعرض لقضية احتجاج الشيخ أبي زُرعة – رحمه الله – بالقراءات الشاذة

للقراءة المتواترة ، وإنما ذكر أنواعاً أخرى من الاحتجاج للقراءات ليس من بينها : القراءات الشاذة .

٢- ابن زنجلة ومنهجه في توجيه القراءات القرآنية – بحث تكميلي قُدِّمَ لنيل درجة الماجستير في القراءات للباحث : محمد عبدالله مهدي عبدالله – جامعة المدينة العالمية – كلية العلوم الإسلامية – سبتمبر ٢٠١٢م ، وهو الآخر لم يتعرض لقضايا الاحتجاج بالقراءات الشاذة للقراءات المتواترة من قريب أو بعيد .

٣- معايير التوجيه الفنولوجي للقراءات السبع عند ابن زنجلة في حجة القراءات ، بحث نالت به صاحبته درجة الماجستير أيضاً – جامعة مؤتة – الأردن – عام ٢٠٠١م – للباحثة : رانية السقرات ، ولم أقف عليها ، وإنما وجدت العنوان بهذا النص على موقع مكتبة عين الجامعة على الشبكة العنكبوتية .

هذه هي الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع بحثي وقد خلت جميعُها من جانب الاحتجاج بالقراءات الشاذة للقراءات المتواترة ، وأدعو الله – عز وجل – أن يوفقني لإتمامه على الوجه الذي يرضيه ، وأن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم – آمين – .

المبحث الأول

التعريف بالقراءات المتواترة والشاذة وتحت عدة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالقراءات المتواترة .

المطلب الثاني : التعريف بالقراءات الشاذة .

المطلب الثالث : حكم القراءة بالشاذّ .

المطلب الرابع : كتاب (حجة القراءات) ومنهج أبي زُرعة فيه .

المبحث الأول

التعريف بالقراءات المتواترة والشاذة

المطلب الأول

التعريف بالقراءات

- **تعريف القراءات لغة:**

القراءات لغة : تدور حول الجمع والضم، يقال: قرأت القرآن، أي لفظت به مجموعاً وقرأت الشئ قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض، قال تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾[1] أي جمعه وقراءته .[2]

والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيب [3].

- تعريف القراءات اصطلاحاً:

تعريف ابن الجزري:"هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزواً لناقله"[4].

تعريف الإمام البناء الدمياطي: "علم يعرف به اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم فى الحذف والإثبات والتحريك والتسكين، والفصل، والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع"[5].

وبالنظر إلى هذين التعريفين[6] نلاحظ أن تعريف ابن الجزري– رحمه الله – هو الأوفق في بابه، لأنه نص على الأداء وحدّد ماهية علم القراءات، وميّزَه عن العلوم

(١) سورة القيامة: الآية (١٧).
(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (ق ر أ) ٣٥٦٣/٥.
(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ٤٠٠.
(٤) منجد المقرئين لابن الجزرى:٤٩ .
(٥) إتحاف فضلاء البشر للبناء الدمياطى:٦ .
(٦) القراءات توقيفية لا اجتهادية للأستاذ الدكتور/ سامى عبد الفتاح هلال:٣،٤.

القريبة منه كعلم التجويد، والرسم، والضبط، فضلاً عن بقية العلوم الأخرى، ولأنه تعلق باختلافات القراء، وهذه الاختلافات إما أن تكون صوتية أو نحوية أو تصريفية.

فقوله: "واختلافها" يشمل الاختلافات الصوتية أو النحوية أو الصرفية.

وقوله: "معزواً لناقله" بيان للطرق التي أخذ منها الرواة رواياتهم، وهذه الطرق إما سماعية كما في العهد الأول (المشافهة) أو كتابية فيما بعد ذلك عن طريق الكتب التي نقلت وجوه القراءات واعتمدها علماء القراءات واعتمد عليها كما ذكر ذلك ابن الجزري في مقدمة النشر[1] حول طرق الرواة.

وأما تعريف البناء الدمياطي: فإنه أدخل مع علم القراءة غيره من العلوم كعلم الرسم ؛ لأنه يبحث في الحذف والإثبات وغيرها وأدخل علم الضبط بقوله: الفصل والوصل والتحريك والتسكين لأن هذه من مسائل علم الضبط.

(١) النشر لابن الجزري١/٥٠ .

المطلب الثاني

التعريف بالقراءات الشاذة

تعريف الشاذ لغة واصطلاحاً:

شذذ: شَذَّ عنه، يَشِذُّ، ويَشُذُّ شذوذًا: انفرد عن الجمهور، وندر، فهو شاذ، وأَشَذَّه غيره ،وشَذَّ الشَّيءُ يشِذُّ ويَشُذُّ شَذًا وَشُذُوذًا: ندر عن جمهوره، وشَذَّهُ هو يَشُذَّه لا غير، وأَشَذَّه.

وَسَمَّى أهل النحو ما فارق ما عليه بقية بابه، وانفرد عن ذلك إلى غيره شَاذًا، حملًا لهذا الموضع على حكم غيره، و(جاءوا شُذَّاذًا) أي قِلالًا، و(قومٌ شُذَّاذ): إذا لم يكونوا في منازلهم ولا حَيِّهم. و(شذَّاذ الناس): ما تَفَّرق منهم(١).

واصطلاحاً: شذوذ القراءة يراد به: ما بقى من قراءات وراء مقياس ابن الجزري(٢).

قال الأخير: "ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة، أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمّن هو أكبر منهم"(٣).

وقال ابن الجزري أيضاً – رحمه الله –: "والذي جمع في زماننا الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة الى أجمع الناس على تلقيها بالقبول...

وقال أيضاً: "وقول من قال إن القراءات المتواترة لا حَدَّ لها إن أراد في زماننا فغير صحيح، إذ لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشرة، وإن أراد في الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله تعالى"(٤).

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٩٤/٣ ، ومقاييس اللغة لابن فارس ١٨٠/٣، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ٣٣٤/١، وتاج العروس للزبيدي: ٤٢٣/٩.
(٢) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي د/ محمود الصغير،: ٧٩.
(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري،: ٩/١.
(٤) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين: ١٨.

وقال الإمام النويري –رحمه الله–: "أجمع الأصوليون والفقهاء على أنه لم يتواتر شيء ما زاد على القراءات العشر، وكذلك أجمع عليه القراء أيضًا إلا من لا يعتد بخلافه"(١).

ويقول الشيخ عبد الفتاح القاضي : "ذكر علماء القراءات قاعدة تُعرف بها القراءات المقبولة، وتميز عن غيرها من القراءات الشاذة المردودة، وهذه القاعدة هي:

" كل قراءة وافقت وجهًا من وجوه اللغة العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، وثبتت بطريق التواتر، كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة: موافقة اللغة، وموافقة أحد المصاحف، وثبوتها بطريق التواتر، هي القراءة التي يجب قبولها، ولا يحل جحدها وإنكارها، وهى من جملة الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، ومتى لم تتحقق هذه الأركان كلها، أو بعضها في قراءة، فهي قراءة شاذة مردودة، وينبغي أن يُعلم أن أهم هذه الأركان، هو الركن الثالث، والركنان الأولان لازمان له؛ إذ أنه متى تحقق تواتر القراءة لزم أن تكون موافقة للغة العرب، ولأحد المصاحف العثمانية، فالعمدة هو التواتر "(٢).

(١) شرح طيبة ابن الجزري في القراءات العشر للنُّوَيْري،: ٦٧/١، ١٣١.
(٢)القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب للشيخ عبد الفتاح القاضي.

المطلب الثالث

حكم القراءة بالشاذ

نقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يصلى خلف من قرأ بها(١).

وقال الشيخ محي الدين النووي: "لا تجوز القراءة في الصلاة ولا في غيرها بالقراءات الشاذة، وليست قرآنًا؛ لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأما الشاذة فليست متواترة، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه سواء قرأ بها في الصلاة أو غيرها، هذا هو الصواب الذى لا معدل عنه، ومن قال غيره فهو غالط أو جاهل(٢).

واستفتى الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) عن حكم القراءة بالشاذ فقال: تحرم القراءة بالشاذ، وفى الصلاة أشد، ولا نعرف خلافًا بين أئمة الشافعية في تفسير الشاذ أنه ما زاد على العشر بل منهم من ضَيَّق فقال: ما زاد على السبع.

وإذا كانت القراءة الشاذة لا تجوز القراءة بها مطلقًا لكن يجوز تعلّمها وتعليمها، وتدوينها في الكتب، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى، واستنباط الأحكام الشرعية منها على القول بصحة الاحتجاج بها"(٣).

(١) الفتاوى الكبرى للنووي ٤/٤١٤: ٤٢٢ ، والتبيان في آداب حملة القرآن للنووي: ٩٧.
(٢)التبيان في آداب حملة القرآن للنووي: ٩٧.
(٣)القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب الشيخ عبد الفتاح القاضي: ١٠.

المطلب الرابع

كتاب (حجة القراءات) ومنهج أبي زُرعة فيه

الإمام أبو زرعة – رحمه الله – يعدُّ من واضعي اللبنات الأولى لعلم الاحتجاج للقراءات المتواترة التي قرأ بها القراء السبعة، ومما تجدر الاشارة به هنا أن كتاب (حجة القراءات) لأبي زرعة لم يحظ بعناية المصنفين الذين جاءوا بعده وصنّفوا في هذا العلم الجليل، وظلّ هذا الكتاب القيّم حبيس المكتبات و دور المخطوطات قروناً طويلة من الزمان، لم يشر إليه أحدٌ ممن كتب في علم توجيه القراءات والاحتجاج لها، ولا يزال السبب الذي أدى إلي هذا الأمر غامضاً ، والسؤال الذي لم يجد أحدٌ من العلماء الإجابة عليه وهو :-

لماذا لم يذكر المصنّفون كتاب حجة القراءات في كتبهم ؟ ولِمَ لَمْ يستقوا منة المادة العلمية الغزيرة ؟

الإجابة عن هذا السؤال لم أجدها عند أحدٍ من العلماء، حتى عند الذين حقّقوا كتابيه كالشيخ سعيد الأفغاني – رحمه الله – الذي تولّى تحقيق ديباجته (حجة القراءات) ، والدكتور / غانم قدّوري الحمد الذي حقّق كتابه (تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه).

لم اجد مبرّراً لهذا الأمر، خاصة أن الكتاب جمع بين جنباته فنوناً عدة، وكان فريداً في بابه وأسلوبه، فقد أودع الشيخ مصنّفه (حجة القراءات) ثمراتٍ علميةً قيمةً، يحتّم الواقع العلمي أن تكون تكِأَةً لكل من جاء بعده وصنّف في هذا الفن الجليل، لكنّ هذا لم يحدث أبداً.

وقد اتّبع الشيخ أبو زرعة – رحمه الله – اسلوباً جديداً في تنظيم كتاب (حجة القراءات) وسار نهج علميٍ غاية في الدقة والإتقان، **وقد كان نهجه فيه علي النحو التالي :**

أولاً : رتّب كتابه حسب ترتيب سور وآيات المصحف الشريف، فابتدأ كتابه بسورة الفاتحة واختتمها بسورة الناس .

ثانياً : يذكر الآية المعنيّة حسْب ترتيبها في السورة، ثم يبدأ ببيان مذاهب القراء السبعة أو رواتهم في القراءة، ويتبع ذلك توجيه القراءة، وحجة القارئين بها .

ثالثاً : كان مذهبه في توجيه القراءة يتميز بالشرح المبسط، والوضوح الكافي لبيان الوجه القرائي ، وحجته دون إطناب مملّ، أو إيجاز مخلّ .

رابعاً : لم يحرم نفسه اختيار قراءة بعينها ترجّح لديه لعلّة ما، فلا يجد حرجاً في اختياره قراءة بعينها .

أما عن احتجاجه للقراءة القرآنية وتوجيهه لها فهذا أمر ينبئ عن عالم متنوعٍ في ثقافته، دارسٍ لعلومٍ شتّي، مطّلعٍ علي أقوال المفسرين، واللغويين، والمحدثين، وأصحاب المذاهب الفقهية، مدركٍ للغات العرب ولهجاتهم، وقد تميز الشيخ في توجيهه القراءات القرآنية المتواترة بأسلوب العالم المدقّق المحقّق، **وقد تنوع احتجاجه للقراءة فكان علي النحو التالي :**

١- احتجاجه بنظير القراءة في القراء الكريم :

امتلأ كتاب الشيخ أبي زرعة – رحمه الله – بالعديد من الحجج التي احتج بها للقراءات المتواترة، ومن الحجج التي أكثر منها : الاحتجاج للقراءة من القرآن الكريم نفسه، بوجود نظير لها في موضع آخر من سور القرآن الكريم، وقد قدَّم هذه الحجة علي غيرها من الحجج، وذلك لأن من أهم الأمور الدالة على قوة القراءة وشهرتها : أن يكون لها نظائر في مواضع أخرى من القرآن الكريم، وقد يعجب المطّلع علي كتاب (حجة القرآن) من براعة الشيخ في مقابلة نصوص القرآن الكريم بعضها ببعض، ومدى استيعابه لآيات القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك :-

المثال الأول : قوله عند الاحتجاج لقوله تعالى: ﴿ **يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِرٍ عَلِيمٍ** ﴾[1]: "قرأ حمزة والكسائي "بكل سحّارٍ عليم" بالألف بعد الحاء وكذلك في يونس وحجّتهما:"إجماع الجميع على قوله في سورة الشعراء : ﴿ **يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ**

(١) سورة الأعراف من الآية : ١١٢ .

عَلِيمٍ ﴾ [1]، ولا فرق بينهما وبين ما أجمعوا عليه، فرد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه، وأخرى أن " سحّاراً " أبلغ من" ساحر" وأشد مبالغة في الوصف من ذلك علام أبلغ من عالم فكذلك " سحار" أبلغ من " ساحر"، وقرأ الباقون: ﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِرٍ عَلِيمٍ ﴾ الألف قبل الحاء، وحجتهم إجماعهم على قوله ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[2] "[3]

المثال الثاني : عند احتجاجه لقراءة " سكارى " بالألف من قول الله – عز وجل –﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ قال :" وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {سكارى} بِالْألف فيهمَا وَهُوَ جمع سَكرَان، وحجتهم أَن بَاب فعلان يجمع على (فعالى) لإجماعهم على قَوْله "قَامُوا كسَالَى"[4] جمع كسلان، وَكَذَلِكَ سَكرَان جمعه سكارى، وَيُقَوِّي هَذَا إِجْمَاعهم على قَوْله {وَأَنْتُم سكارى}[5] فَردوا مَا اخْتلفُوا فِيهِ إِلَى مَا أَجمعُوا عَلَيْهِ أولى ".[6]

٢– احتجاجه بأحاديث النبي ﷺ :

في مواضع من كتابه (حجة القراءات) احتجّ الشيخ أبو زرعة – رحمه الله – للقراءة المتواترة بوجودها في حديث النبي – صلي الله عليه وسلم –، ولا يجد غضاضة في ذلك، ومن أمثلة احتجاجه بالحديث :

عند احتجاجه لقراءة نافع " تَسْأَلْ " من قول الله – عز وجل –﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [7] استشهد لها بحديث من أحاديث النبي – ﷺ – فقال :"قَرَأَ نَافِع "وَلَا تسْأَل عَن أَصْحَاب الْجَحِيم" بِفَتْح التَّاء والجزم على

(١) سورة الشعراء من الآية : ٣٧ .
(٢) سورة طه من الآية :٦٩ .
(٣) حجة القراءات لأبي زرعة : ٢٩ ، ٢٩٢ .
(٤) سورة النساء من الآية :٦٩ .
(٥) سورة النساء من الآية : ١٤٢ .
(٦) حجة القراءات : ٤٧٢ .
(٧) سورة البقرة من الآية : ١١٩ .

النَّهْي ، وحجته مَا رُوِيَ فِي التَّفْسِير أَن النَّبِي – صلى الله عَلَيْهِ وسلم – قَالَ :" لَيْت شعري مَا فعل أبواي فَنزلت "وَلَا تسْأَلْ عَن أَصْحَاب الْجَحِيم"، فَنَهَاهُ الله عَن الْمَسْأَلَة قيل إِنَّه مَا ذكرهمَا حَتَّى توفاه الله ".[1]

٣- احتجاجه لمعنى القراءة المتواترة بالقراءة الشاذّة :

لم يتحرّج أبو زرعة – رحمه الله – أن يحتج لمعنى القراءة المتواترة بقراءة شاذة منسوبة لأحد من الصحابة – رضي الله عنهم –، وهو موضوع بحثنا – إن شاء الله–، وقد وقع هذا الأمر في مواضع عديدة من كتاب (حجة القراءات)، علي أن هذا الأمر لم يتعد كون القراءة الشاذة مقويّة لوجه القراءة المتواترة ومرجّحةً لها، ويأتي الحديث عن هذا النوع مفصّلاً في المباحث القادمة – إن شاء الله –.

٤- احتجاجه للقراءة المتواترة من ناحية اللغة :

وهذا تكرر كثيراً في كتابه فقد احتج للقراءة المتواترة لقوة وجهها الإعراب، ونقل آراء علماء اللغة في هذا الشأن، ويستدل علي القراءة ويحتج لها بالشعر والنثر، ومن أمثلة هذا النوع :

عند احتجاجه لقراءة كل القراء عدا نافعاً " **أَنِّيٓ أَخۡلُقُ** " بفتح الهمزة من قول الله – عز وجل –﴿ **أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ** ﴾ [2] استشهد لها بوجهٍ إعرابي، ونقل رأي الزجاج فيها فقال:"وقرأ الباقون {أني} بالفتح، وحجتهم أنها بدل من قوله " **قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن**

(١) حديث مرسل ضعيف الإسناد : أخرجه السيوطي في الدر المنثور ونصه :" أخرج وكيع وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد والن جرير والن المنذر عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ ليت شعري ما فعل أبواي فنزل {إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم} فما ذكرها حتى توفاه الله " الدر المنثور١/ ٢٧١، ومعجم ابن الأعرابي ٣٩٤/٣٩٤١/١ ، ح رقم (٧٥١) ، وينظر الأثر في تفسير الطبري ٥٨٨/٢، وتفسير ابن كثير ٤٠١/١، وتفسير القرطبي ٩٢/٢، وحجة القراءات : ١١١.

(٢) سورة آل عمران من الآية : ٤٩.

﴿ رَبِّكُمْ ﴾ " قال الزجاج :" إني" في موضع جرّ على البدل من "آية"، المعنى " جئتكم من أني أخلق لكم من الطين "[1].

٥- احتجاجه برسم المصحف الشريف :

في أكثر من موضع من كتابه يحتجّ أبو زرعة – رحمه الله – برسم المصحف الشريف للقراءة المتواترة، وهي حجة قوية، فهو كغيره من علماء توجيه القراءات القرآنية، والمفسرين، شديد التمسّك برسم المصحف الشريف ، ومن أمثلة احتجاجه برسم المصحف :

عند احتجاجه لقراءة ابن عامر " **بالغدوة** " من قول الله – عز وجل –﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[2] احتجّ لها بموافقتها رسم المصحف الشريف فقال :" قَرَأَ ابْن عَامر " بالغُدوة والعشي " بِالْوَاو وَضم الْغَيْن، وحجته فِي ذَلِك أَنه وجده فِي الْمُصحف بِالْوَاو فَقَرَأَ ذَلِك اتبَاعا لِلْخَطِّ "[3].

٦- سياق الآية :

كثيراً ما احتج أبو زرعة – رحمه الله – للقراءة المتواترة بسياق الآية ، فيحتج باللفظ الوارد فيه القراءة بلفظ وقع قبله أو بعده، علي نفس زنته، أو عدد حروف، أو إفراده أو جمعه، أو تذكيره أو تأنيثه، أو خطابه أو غيبته، فيجئ اللفظ الوارد فيه القراءة علي نسق اللفظ الواقع قبله أو بعده، ليأتلف الكلام علي لفظ واحد، ويتحد آخر الكلام مع أوله، وهذا النوع من الاحتجاج امتلأ به كتاب (حجة القراءات) لأبي زرعة – رحمه الله – ومن أمثلة هذا النوع :

ما احتج به لقراءة نافع وحمزة والكسائي في لفظ " **تعملون** " بتاء الخطاب من قول الله – عز وجل –﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ

(١) حجة القراءات : ١٦٤ .
(٢) سورة الأنعام من الآية : ٥٢.
(٣) حجة القراءات : ٢٥١ .

عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [1] حيث قال :" قَرَأَ ابْن عَامر وَحَمْزَة وَالْكسَائِيّ **{وَمَا الله بغافل عَمَّا تعْملُونَ}** بِالتَّاءِ وحجتهم قَوْله قبلهَا ﴿ **وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ** ﴾ فَكَانَ ختم الْآيَة بِمَا افتتحت بِهِ من الخطاب عِنْدهم أولى من الْعُدُول عَن الْخطاب إِلَى الْغَيْبَة"[2] .

وهكذا تنوع الاحتجاج للقراءة المتواترة عند أبي زرعة – رحمه الله –، وما هذا إلا لسعة اطّلاعه ، وتنوع ثقافته – رحم الله الشيخ رحمة واسعة – آمين – .

(١) سورة البقرة من الآية : ١٤٤ .
(٢) حجة القراءات : ١١٦ .

المبحث الثاني

حياة الإمام أبي زُرعة – رحمه الله – وتحته عدة مطالب :

المطلب الأول : اسمه ونسبه .

المطلب الثاني : نشأته وشيوخه .

المطلب الثالث : مصنفاته .

المطلب الرابع : وفاة الشيخ أبي زُرعة – رحمه الله – .

المبحث الثاني

حياة الإمام أبي زُرعة – رحمه الله –

المطلب الاول

اسمه ونسبه

لم يحظ الإمام أبو زرعة – رحمه الله – بترجمة وافرة تبين اسمه ونسبه وكنيته ، وكتب التراجم علي كثرتها وتنوعها وكتاباتها الزاخرة لأعلام الأمة علي مرّ العصور والأزمنة لم تكتب عن الإمام أبي زرعة – رحمه الله – إلا شيئاً يسيراً لا يتناسب مع قيمه الشيخ أبي زرعة – رحمه الله – العلمية الواسعة الأفق ، فبعد البحث والاطّلاع علي كتابات السابقين حول الشيخ وسيرته وحياته العلمية، وجدت أن الباحثين السابقين لي عانوا معاناةً شديدةً ، وظلّوا أوقاتاً طويلة يبحثون عن ترجمة منصفة للشيخ تبرز الإرث العلمي الكبير الذي تركه .

وقد ألمح الشيخ سعيد الأفغاني – رحمه الله – محقّق كتاب (حجة القراءات لأبي زرعة) إلى جانب من هذه المعاناة في البحث عن سيرة الشيخ وحياته فقال:" لقد كان صمْتُ المصادر في كتب الرجال والطبقات مطبقاً ، لم أجد فيها علي كثرة البحث ترجمة أو شبه ترجمة للمؤلف – يعني ابا زرعة ، ولقد كتبت إلى من كثرت ممارستهم في البحث عن الرجال في مصر والعراق والمغرب والشام ، فأعياهم أن يجدوا له ترجمة ".[1]

وكل ما أوردته كتب التراجم وأصحاب السير عن اسم الشيخ أبي زرعة انتهى إلي أن اسمه عبدالرحمن بن محمد أبو زُرعة ابن زنجلة القارئ.

(١) حجة القراءات لأبي زرعة :٢٥.

وقد ذكر هذه التسمية أحمد بن فارس في كتاب (الصاحبي)[١] ، وكذا خبر الدين الزركلي في (الأعلام)[٢] ، والموسوعة الميسرة.[٣]

علي أن الأخيرين اعتمدا في ترجمة الشيخ علي ما جاء في كتاب (حجة القراءات) لأبي زرعة الذي اعتمد محقّقه أيضاً علي ما جاء من إشارة في مخطوط كتاب (الصاحبي) لأحمد بن فارس لم يعمد فيها إلي ذكر اسمه ونسبه ، وإنما عَمِدَ الي بيان من قرأ علي أحمد بن فارس ، ومنهم الشيخ أبو زُرعة – رحمه الله – ، فالشيخ أبو زرعة لم يكن له نصيب في الترجمة له والوقوف علي حياته.

(١) ورد في إحدى مخطوطات كتاب (الصاحبي) ففي اللغة لابن فارس ما نصه : فرغ نوح بن احمد من قراءة هذا الكتاب وتصحيحه علي الشيخ ابي الحسن احمد بن فارس في يوم الاثنين تاسع شعبان من مشهور سنة وثمانية وثلاثمائة، وسمع بقراءته أبو العباس احمد بن محمد ، المعروف بالغضبان، وأبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زجله القارئ " الصاحبي:٤٧٢ هامش(١).
(٢) الأعلام للزركلي ٣٢٥/٣.
(٣) الموسوعة الميسرة وليد الزبيري، وآخرون ١١٨٥/٢ .

المطلب الثاني
نشأته وشيوخه

أولاً : نشأته :

أبان الشيخ سعيد الأفغاني عن جانب من جوانب حياة الإمام أبي زرعة – رحمه الله – وهي أنه كان يقطن في المحمّدية، وذلك حينما قال ابن فارس في إحدى مخطوطات كتابه (الصاحبي) :" وكتبه أحمد بن فارس بن زكريا بخطه بالمحمّدية في شعبان سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة والمحّمديّة: محله في مدينة الري، من أكبر مدن شمال إقليم بلاد فارس ، سنة ٣٨٢هـ ، ومن خلال النص السابق الذي قاله ابن فارس يتضح القرن الذي عاش فيه الشيخ أبي زرعة – رحمه الله – دون تحديد سنة مولده بعينها، وهو الأمر الذي لم تشرْ إليه المصادر علي كثرتها وسعتها وتنوعها ، فقد عاش في القرن الرابع الهجري ، فهو من رجال المائة الرابعة الحافلة بأمثال السيرافي، والفارسي، وابن فارس، وابن جنّي ، وتلك الطبقة[١] ، ومن كلام ابن فارس أيضاً عن تلامذته الذين سمعوا كتابه ، وصحّحوه يتّضح لنا أن أبا زرعة – رحمه الله – في تلك السنة كان في سنّ يؤهله لوصفه في السماع بالقارئ.

فشهادة ابن فارس لأبي زرعة بالقارئ تنبئ عن توفّر أدوات الاستاذ في الإقراء ، فوصف أبي فارس له بهذا الوصف يدل علي أنه اشتهر به وأنه كان قارئاً معروفاً بين العلماء .

وقد أفصح الشيخ سعيد الأفغاني محقق كتاب (حجة القراءات) –عن مذهب الشيخ أبي زرعة – رحمه الله – فقال : " ومن ترجمه أحمد بن فارس في (الديباج المذهب) استفدنا أن مؤلف كتابنا مالكي المذهب، وكان قاضياً، فقد جاء في خاتمة الترجمة :" روى عنه أبو ذر، والقاضي أبو زُرعة ، فقيهٌ مالكي " إلا ان العلامة غانم قدوري الحمد – حفظه الله – استدرك علي الشيخ سعيد الأفغاني هذا الأمر ووصف من ترجم للشيخ ونسبه إلي المذهب المالكي بأنه وهْمٌ منهم ، وأنهم

(١) حجة القراءات لأبي زرعة :٢٥.

وقعوا في خطأين حينما فهموا النص المنقول من كتاب (الديباج المذهب) والخطآن هما :-

١- أن القاضي أبا زرعة المذكور في النص ليس عبدالرحمن به محمد بن زنجلة مؤلف كتاب (حجة القراءات) ، وإنما هو روح بن محمد بن أحمد ، القاضي أبو زرعة الرازي الفقيه الشافعي المتوفي سنه ٤٢٣هـ ، الذي نصّ أهل التراجم علي أنه سمع من أحمد بن فارس اللغوي ، وهذا لا ينفي جلوس ابن زجله في مجلس بن فارس وسماع كتاب (الصاحبي) بقراءة نوح بن أحمد الأديب عليه .

٢- عبارة (فقيه مالكي) المقصود بها ابن فارس وليس ابن زنجلة ، فابن فرحون لم يذكر ابن فارس في كتابه (الديباج المذهب) إلا لأنه فقيهٌ مالكيٌ ، وقراءة ترجمة ابن فارس الموجزة فيه تشير إلي ذلك .

قال الدكتور غانم قدوري الحمد : " وقد يكون الشيخ أبو زرعة بن زنجلة فقيهاً ، لكن الاستدلال بالنص الذي أشرت إليه علي ذلك ، وقد اتّضح ما فيه ، وإذا كان فقيهاً فأن يكون شافعياً أرجح من أن يكون مالكياً ، فقد ذكر رأي الإمام الشافعي في حكم الآية :﴿ فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ ﴾ [١]، واحتجّ له، وأشار إلي رأي الإمام أبي حنيفة ، ولكنه لم يذكر الإمام مالكاً في هذه المسألة ولا في غيرها"[٢] .

والدكتور غانم قدوري الحمد رجّح أن يكون مذهب الإمام أبي زرعة – رحمه الله – شافعياً ، وأقول : إن كلام الدكتور غانم قدوري الحمد السابق الذي استنتجه من العبارة المذكورة في (الديباج المذهب) والذي ملخّصه : أن أبا زرعة المذكور في العبارة ليس هو أبو زرعة بن زنجلة هو الأقرب إلي الصواب، لكن استدلاله علي أن مذهب الشيخ هو المذهب الشافعي بناء علي استدلال أبي زرعة برأي الإمام الشافعي في حكم آية ، وذكره رأي أبي حنيفة في نفس الآية ، وعدم تعرضه لرأي الإمام مالك فيها لا يُعدُّ دليلاً قوياً علي أن مذهب الشيخ هو المذهب الشافعي ،

(١) سورة المائدة من الآية :٩٥.
(٢) تنزيل القران وعدد آياته واختلاف الناس فيه لابن زنجلة تحقيق د/غانم قدوري الحمد :٩.

لأن الشيخ أبا زرعة قد يكون عرض رأي الشافعي وأبي حنيفة في الآية سرداً لهما ، وبياناً لما ذهبوا إليه في هذه الآية ، وإهماله لرأى الإمام مالك في الآية ليس حجةً علي أن مذهبه هو المذهب الشافعي .

ثانياً : شيوخه :

لم تذكر المصادر أيضاً من شيوخ الإمام أبي زرعة – رحمه الله – إلا شيخين فقط هما :-

١- أبو الحسين أحمد بن فارس :

هو : أحمد بن فارس به زكريا القزويني الرازي ، أبو الحسين ، من أئمة اللغة العربية والأدب .

قرأ عليه : البديع الهمذاني، والصاحب بن عباد، وابن زنجلة، وغيرهم ، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان ، ثم انتقل إلي الري فتوفي فيها ، وإليها نسبته .

ومن مصنفاته : مقايس اللغة – الصاحبي في فقه اللغة – جامع التأويل في تفسير القرآن ، وغيرهم توفي سنه ٣٩٥هـ[١] .

وقد أشار ابن فارس بنفسه إلى أن أبا زرعة قرأ وسمع عليه وذلك في إحدى مخطوطات كتابه (الصاحبي)[٢]

٢- الخطيب الاسكافي :

هو : محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي ، أبو عبدالله : عالم بالأدب واللغة ، من أهل أصبهان كان إسكافياً ، ثم خطيباً بالريّ ، من كتبه :

مبادئ اللغة – نقد الشعر – درّة التنزيل وغرّة التأويل في الآيات المتشابهة توفي سنه ٤٢٠هـ[٣]

---

(١) الأعلام للزركلي ١/ ١٩٣

(٢) حجة القراءات لابي زرعة :٢٥ ، ٢٦

(٣) الوافي بالوفيات ٣٣٧/٣ ، وبغية الوعاة :٦٣ ، والاعلام٢٢٦/٦ ، ٢٢٧

ومما يدل علي أن أبا زرعة – رحمه الله– كان أحد تلامذته ما ذكره أبو زرعة في كتابه (حجة القراءات) حيث قال :" سألت أبا عبدالله الخطيب عن هذا ....[1]

وهكذا وقفت كتب السير والتراجم والتاريخ عاجزة عن ذكر تفاصيل حياة شيخنا أبي زرعة – – رحمه الله –– ولم توقفنا علي عدد من شيوخه أو حتي تلامذته، اللهم إلا ما جاء من إشارة استطاع قلة من العلماء أن يظفروا بها ويستخرجوها من بين ثنايا كتب ألمحت إلى شيخين فقط من شيوخه .

(١) حجة القراءات :١٥٥ ، ١٥٦

المطلب الثالث
مصنفات أبي زرعة – رحمه الله –

من حسنات ما وصلنا من أخبار عن شيخنا علامة عصرة أبي زرعة – رحمه الله – هي تلك المصنفات التي ألفها ، والتي تنب~ عن شخصية متبحّرة في شتي الفنون خاصة : القراءات ، واللغة ، والتفسير، وإذا كانت كتب التراجم والسير أهملت كثيراً من حياة الشيخ ، إلا أن مسالة الكتب التي صنّفها كانت أحسن حالاً من غيرها ، والكتب التي ألفها أبو زرعة – – رحمه الله –أربعة :

الكتاب الاول :

حجة القراءات ، وهو في الاحتجاج للقراءات المنسوبة للائمة السبعة ، وقد حققه الشيخ سعيد الأفغاني – رحمه الله – ، وقد ألفه الشيخ أبو زرعة – – رحمه الله –– قبل سنة ٤٠٣هـ علي الأقل[١].

الكتاب الثاني :

تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه ، وقد حقّقه العلّامة الدكتور غانم قدوري الحمد[٢] .

الكتاب الثالث :

تفسير القرآن، وذكره أبو زرعة – رحمه الله – في كتاب (حجة القراءات) وأشار إليه عندما احتجّ للقراءة الواردة في قول الله – عز وجل – ﴿ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ ﴾ [٣] قال : " والأخبار كثيرة في هذا المعني ، وقد ذكرناها في تفسير القرآن" [٤] ، و الشاهد كلامه هذا أن له تفسيراً للقران الكريم، لكنه لم يصل إلينا .

---

(١) حجة القراءات :٣٠.
(٢) نشر جزء من الكتاب ضمن مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد (٢) ذو الحجة (١٤٢٧هـ)
(٣) سورة المائدة من الآية :٦.
(٤) حجة القراءات : ٢٢٢.

الكتاب الرابع :

شرف القراء في الوقف والابتداء في الكلام المنزل علي خاتم الأنبياء ، هذا الكتاب أشار إليه الشيخ الأفغاني محقق كتاب (حجة القراءات) وقال عنه :" وأفادنا الدكتور : كوركيس عواد الباحث المحقّق المعروف في كتاب خاصّ مؤرَّخ في ١٩٥٧/٢/١م قال : " إنه لدي السيد عاكف العاني من موظفي المكتبة العامة في بغداد جزءان من كتاب (شرف القراء في الوقف والابتداء في كلام المنزل علي خاتم الأنبياء) لمؤلّفِنا أبي زرعة ، وقد ورد اسمه فيها بصورة (أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المقرئ ، وفي هذا السّفْر ينّوه المؤلف بكتابه حجة القراءات ، فيكون كتاب الحجة أسبق عهداً من غيره.[١] .

ومن خلال المؤلفات السابقة يتضح لنا العلوم التي برع فيها الشيخ أبو زرعة – رحمه الله – وهي :

١- الاحتجاج للقراءات : فقد اهتم الشيخ بتوجيه قراءات الأئمة السبعة اهتماماً كبيراً ،واحتجّ لها بحج عدة تأتي قريباً- إن شاء الله – .

٢- علوم القرآن الكريم : وذلك يتضح جليّاً من خلال كتابة الذي عنون له وهو (تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه) .

٣- اللغة : وهذا الجانب برع فيه الشيخ أبو زرعة – رحمه الله – والناظر في كتابه (حجة القراءات) يجد أنه امتلأ بالعديد من القضايا اللغوية والمسائل النحوية والصرف والبلاغية ، ويأتي ذلك مفصّلاً عند الحديث عن كتاب (حجة القراءات ومنهج الشيخ فيه) .

٤- التفسير: وقد أشار إلى كتابه (تفسير القرآن) غير مرّة في (حجة القراءات) ما يدلّل أنه عالم بالتفسير أيضاً .

(١) حجة القراءات : ٢٨ ، ٢٩.

٥- الحديث النبوي الشريف : فقد استشهد الإمام أبو زرعة – رحمه الله – بالكثير الأحاديث النبوية واحتجّ بها للقراءة المتواترة التي أوردها وضمّنها كتابه (حجة القراءات) .

٦- الدفاع عن القراءات المطعون عليها : فقد انتصر الشيخ أبو زرعة – رحمه الله – لقراءات الأئمة السبعة، وردّ قول الطاعنين فيها ، ودافع عنها بكل ما أوتي من قوّة، وجعل التواتر ركيزةً أساسيةً وسلاحاً قوياً في الدفاع عنها .

٧- الفقه : لم يهمل الشيخ أبو زرعة – رحمه الله – بعض القضايا الفقهية ، فقد ضمّن كتابه (حجة القراءات) بعض المذاهب الفقهية المتعلقة بعددٍ من القراءات القرآنية .

المطلب الرابع
وفاة الشيخ أبي زرعة – رحمه الله –

عانى كثيرٌ من الباحثين في تحديد العام الذي توفي فيه الشيخ أبو زرعة – رحمه الله – ولم يستطع أحدٌ من الذين ترجموا له أو حقّقوا كتبه أن يقف علي سنة وفاته تحديداً ، وذلك راجعٌ إلى عدم وجود ترجمة للشيخ توضّح جوانب حياته ، ونشأته ، وسنة مولده ، وأقوال العلماء فيه ، ووفاته ، فلم تذكر المصادر الجوانب، وكل ما جاء عن الشيخ هي إشارات استُنتِجت من ثنايا كتب قليلة ألمحت إلي بعض هذه الأمور.

واعتماد المصنّف خير الدين الزركلي علي تحديد سنة مولده جاء أيضاً استنباطاً مما ذكره محقق كتاب (حجة القراءات) وهو الشيخ سعيد الافغاني – رحمه الله – ، فخلا من الدقة في تحديد العام الذي توفي فيه .

وقد ذكر الدكتور غانم قدوري الحمد معاناته في هذا الجانب فقال:" يمكن أن نستنتج أنه – أي الشيخ أبا زرعة – عاش معظم سنين حياته في القرن الرابع الهجري وأنه أدرك صدراً من القرن الخامس ، فإنه في سنة ٣٨٢هـ كان في مجلس أحمد بن فارس يستمع قراءة كتاب (الصاحبي) علي مؤلفه ، وأحسِب أن حياته امتدت إلي ما وراء تاريخ وفاة شيخه أبي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي التي كانت سنة ٤٢٠هـ ، بناء علي امتداد حياة الطلبة إلي ما بعد وفاة شيوخهم في الغالب.

وقد يصعب إعطاء تاريخ تقريبي لسنة وفاته لفقدان القرائن الدالة علي ذلك ، وغاية ما يمكن قوله في الوقت الحاضر: أنه عاش في النصف الثاني من القرن الرابع ، وسنين من أوائل القرن الخامس "[1].

(١) تنزيل القرآن وعدد آياته واختلاف الناس فيه لأبي زرعة تحقيق د/ غانم قدوري الحمد : ١٠ ، ١١.

وكلام العلامة غانم قدوري الحمد خير شاهد علي ما عاناه المحققون والباحثون، الذين اعتنوا بدراسات كتب الشيخ أبي زُرعة – رحمه الله – وأرادوا أن يقفوا على جوانب من حياة الشيخ ولم يستطيعوا، لإهمال المصادر والمؤرخين وكتّاب السير هذا الأمر .

ثالثاً

الاحتجاج بالقراءات الشاذة لمعاني
القراءات المتواترة عند أبي زُرعة – رحمه الله –
وتحته خمسة مباحث :

المبحث الأول : احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة لمعاني القراءات المتواترة الواردة في سورة البقرة .

المبحث الثاني : احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة لمعاني القراءات المتواترة الواردة في سورة آل عمران .

المبحث الثالث: احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة لمعاني القراءات المتواترة الواردة في سورة المائدة .

المبحث الرابع : احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة لمعاني القراءات المتواترة الواردة في سورة الأنعام.

المبحث الأول
احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة
لمعنى القراءات المتواترة الواردة في سورة البقرة

الآية الأولى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾[1]

أثناء حديث أبى زرعة – رحمه الله – عن القراءات المتواترة الموجودة في لفظ ﴿ نُنسِهَا ﴾ من قول الله –عز وجل– ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ بيّن توجيه القراءات من ناحية تفسير العلماء للقراءات المتواترة الموجودة فيها، وأوضح المعنى على كل قراءة، وحجة كل فريق فقال: " قَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو ﴿أَوْ نَنْسَأْهَا﴾ أَي: نؤخر حكمهَا، وحجتهما : أَن ذَلِك من: التَّأْخِير، فتأويله: مَا ننسخ من آيَة فنبدل حكمهَا، أَو نؤخر تَبْدِيل حكمهَا، فَلَا نبطله نأت بِخَير مِنْهَا، وَيكون الْمَعْنى: مَا نرفع من آيَة أَو نؤخرها فَلَا نرفعها. وقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿نُنسِهَا﴾ بِضَم النُّون" [2]

وهنا نجد أن الإمام أبا زُرعة – رحمه الله – احتجّ لقراءة الباقين ببعض القراءات الشاذة المنسوبة لبعض الصحابة – رضي الله عنهم –، ولم تنقل متواترة، ولعلها نسخت في العرضة الأخيرة للقرآن الكريم والتي عرضها جبريل على النبي ﷺ، وهى قراءه نسبت إلى أبي بن كعب، وسعد بن أبى وقاص – رضى الله عنهما– فذكر قراءتين شاذتين منسوبتين لهذين الصحابيين الجليلين لم يصحّ سندهما ، وجعلهما حجة لقراءة الباقيين ﴿نُنسِهَا﴾ بضم النون، وهذا من دأب أبى زرعة في حجته كما ذكرت آنفاً، يحتجّ لمعنى القراءة المتواترة بقراءة شاذة منسوبة لأحد من الصحابة – رضى الله عنهم– بل ويذكر أحياناً أن القراءة الشاذة التي احتج بها تقوّى القراءة المتواترة بقراءة شاذة منسوبة لأحد ما من القراء مثلا، كما سيتضح في الأمثلة القادمة – إن شاء الله –، والقراءتان الشاذتان اللتان احتجّ بهما هما: قراءة أبى بن

(١) سورة البقرة من الآية : ١٠٦ .
(٢) حجة القراءات لأبى زرعة : ١٠٩، ١١٠ .

كعب – رضى الله عنه – **(أو نُنْسِك)** بضم النون الأولى وإسكان الثانية وكسر السين، وبكاف الخطاب[١]، وقراءة سعد بن أبى وقاص (أو تَنْسَها) بالتاء المفتوحة وسكون النون وفتح السين[٢]، وقد ذكرهما أبو زرعة حجّةً لمن قرأ القراءة المتواترة من القراء ﴿نُنْسِها﴾ فقال : " وقرأ الباقون ﴿نُنْسِهَا﴾، وحجتهم في ذلك قراءة أبيّ، وسعد بن أبى وقاص، وقرأ أبي بن كعب (أو نُنْسِك) [٣] معناه: « نُنسِك نحن يا محمد»، وقرأ سعد (أو تَنْسَها)، والمعنى : «أو تنسها أنت يا محمد» ، وقراءتهما تدل على النسيان، وإن كان بعضهم أضافه للنبي ﷺ، وبعضهم أخبر أن الله فعل ذلك به، وليس بين القولين اختلاف؛ لأنه ليس بفعل النبي ﷺ إلا ما وفّقه الله له إذا أنساه نسي، قال أبو عبيد: " ﴿أو نُنسِها﴾ من النسيان، ومعناه: أن الله إذا شاء أنسى من القرءان من يشاء أن ينسيه، وقال آخرون منهم ابن عباس: ﴿أو نُنسِها﴾ أي: نتركها فلا نبدلها، قال علماؤنا: يلزم قائله أن يقرأها (أو نَنْسَها) بفتح النون؛ ليصلح معنى نتركها، فأما إذا ضمت النون فإنما معناه: (نُنْسِك نحن يا محمد)، وهذا لا يكون بمعنى الترك.

الجواب عنه: يقال: نسيت الشيء أي: تركته وأُنسِيته، أي: أمرت بتركه، فتأويل الآية: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَة﴾ أي: نرفعها بآية أخرى ننزلها ﴿ أَو نُنْسِها ﴾، أي: نأمرك بتركها"[٤].

وأبو زرعة حينما يحتج بالقراءتين الشاذتين هنا فهو يقوّى ويرجّح قراءة الباقين من ناحيه المعنى، وليس رفضاً أو إنكاراً للقراءة الأخرى ﴿ نَنْسَأْها﴾ والتي معناها: التأخير، وإنما غاية ما يريده أبو زُرعة أن القراءتين الشاذتين يرجحان كفة قراءة الباقين في المعنى، وأنهما يتوافقان معها من الناحية التفسيرية للقراءة، وهكذا الحال في كل قراءة احتجّ بها.

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان ٥١٣/١

(٢٩ مختصر شواذ القراءات لابن خالويه : ١٦

(٣) في كل النسخ التي اطلعت عليها لكتاب (حجة القراءات) ذكر أبو زرعة أن قراءة أبي (نَنْسَها)، ولعلها سهو منه، والصحيح أن قراءة أبى (أو نُنْسِك) كما ذكرها أبو حيان مفصّلة في البحر المحيط ٥١٣/١.

(٤) حجة القراءات لأبى زرعة : ١١٠

وقد ورد في الكلمة قراءات شاذة أخرى ترجح قراءة الباقين: ﴿أَو نُنْسِها﴾ أيضاً، والتي معناها من النسيان الذى هو ضد الذكر، وعليه يكون المعنى :" إذا رفعنا آية بـ " نسخٍ " أو بـ " نسيانٍ " نُقدّره عليك يا محمد، أتينا بخير منها في الصلاح لكم، أو بمثلها في اللفظين عما في اللوح المحفوظ، فإذا كان الإخبار عما قد نزل وتلي من القرآن فلا يصلح لقوله: ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مّنْهَا﴾، والأقوى والأبين أن يكون من: (النسيان) الذى هو ضد (الذكر).

ويدل على أنه من النسيان قوله تعالى:﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ ﴾[1] فقد أعلمه الله أنه لا ينسى شيئاً مما أنزله عليه إلا ما شاء الله أن ينساه مما قدّر أن يبدّله بأصلح منه للعباد، أو بمثله [2].

وقد سار على نهج أبى زرعة مكى بن أبى طالب في (الكشف) ، ففعل ما فعل من استدلاله بالقراءة الشاذة والاحتجاج بها لمعنى القراءة المتواترة فقال: " ويدل على أنه من (النسيان) أن الضحاك قرأ (أو تُنْسَها) بتاء مضمومة وفتح السين، فهو من النسيان لا يجوز غيره، وقد قرأ ابن مسعود "ما نُنْسِك من آية أو ننسخها" فهذا من النسيان لا غير، وأيضاً فإن " تنسى" الذى بمعنى: الترك لم يستعمل "أفعل" وإنما استعمل فيه " فعل" ، فكان يجب أن تكون القراءة بفتح النون الأولى من السبب، ولم يأت ذلك.

تم اختار مكى قراءة ﴿أَو نُنْسِها﴾ من النسيان لصحة المعنى، ولأن جماعة القراء عليه، وبه قرأ ابن المسيب، وأبو عبد الرحمن، وقتادة، والأعرج، وأبو جعفر يزيد، وشيبة، والضحاك، وابن أبى إسحاق، وعيسى، والأعشى[3].

(١) سورة الأعلى الآيتان : ٦ ، ٧ .
(٢) تفسير ابن كثير ٣٧٧/١ ، ٣٧٨ .
(٣) الكشف لمكي بن أبى طالب ٢٥٩/١ ، ٢٦٠ .

والقراءات في هذه الكلمة بلغت اثنتي عشرة قراءة، ثنتان منها متواترة وهما: ﴿أَو نُنْسِها﴾، و﴿نَنْسَأْها﴾، وبقيتها شاذة وهى : (نُنْسِئْهَا ، تُنسِئها، تَنسَأْها) ثلاثتها بالهمز، و(نُنَسّها، ونَنسَها، وتُنسِها، وتُنسَها، ونُنسِك، ونُنسِكَها) وكل هذه بدون همز، وقراءة الأعمش (ما نُنسِك من آية أو نَنْسَخها نجيء بمثلها).[١]

الآية الثانية: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[٢] .

ورد في لفظ ﴿ **تُسْأَلُ** ﴾ قراءتان:

الأولي: لنافع بفتح التاء وجزم اللام علي النهي : ﴿ وَلَا تَسْأَلْ﴾ " .

الثانية: لبقية القراء وهي بضم التاء والرفع علي الخبر : "﴿ وَلَا تُسْأَلُ ﴾[٣] .

وقد بيّن أبو زرعة – رحمه الله – معني القراءتين، وذكر حجة ما ذهب إليه كل فريق من القراء فقال :" قرأ نافع " **وَلَا تَسْأَلْ** " بفتح التاء والجزم على النهي، وحجته : ما روي في التفسير أن النبي ﷺ قال: ليت شعري ما فعل أبواي، فنزلت ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ فنهاه الله عن المسألة، قيل : إنه ما ذكرهما حتى توفاه الله"[٤].

ثم ذكر أبو زرعة – رحمه الله – قراءة الباقين من القراء، وقد احتج لمعناها بقراءة آحادية في مصحف ابن مسعود – رضي الله عنه – وهي :" **وَلَن تُسْأَلَ** "[٥]

---

(١) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٦، وشواذّ القراءات للكرماني : ٧٢، والبحر المحيط لأبى حيان ٥١٣/١.

(٢) سورة البقرة من الآية : ١١٩ .

(٣) وكذا معهم يعقوب من الثلاثة المتممة للعشر .النشر لابن الجزري ٢٢١/٢.

(٤) حديث مرسل ضعيف الإسناد : أخرجه السيوطي في الدر المنثور ونصه :" أخرج وكيع وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد والن جرير والن المنذر عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ ليت شعري ما فعل أبواي فنزل {إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم} فما ذكرها حتى توفاه الله " الدر المنثور١/ ٢٧١، ومعجم ابن الأعرابي ٣٩٤/٣٩٤١/١ ، ح رقم (٧٥١) ، وينظر الأثر في تفسير الطبري ٥٨٨/٢ ، وتفسير ابن كثير ٤٠١/١ ، وتفسير القرطبي ٩٢/٢ ، وحجة القراءات : ١١١.

(٥) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه :١٦ ، والبحر المحيط ٥٣٨/١.

محتجاً بها لمعنى القراءة المتواترة ﴿ وَلَا تُسْأَلُ ﴾، فقال: "وقرأ الباقون ﴿...وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ برفع التاء واللام، وحجتهم : أن في قراءة ابن مسعود " **وَلَن تُسْأَلَ** " ورفعه من وجهين: أحدهما: أن يكون ﴿ ولا تُسأل﴾ استئنافا كأنه قيل: ولست تسأل عن أصحاب الجحيم، كما قال: ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾[1] والوجه الثاني: على الحال، فيكون المعنى: وأرسلناك غير سائل عن أصحاب الجحيم "[2].

وأبو زرعة هنا يستدل بالقراءات الشاذة للقراءة المتواترة لأنها أقرب وأدخل في المعني، وترجيحه لها جاء من هذه الناحية ، وقراءة ابن مسعود – رضي الله عنه – "**وَلَن تُسْأَلَ**" معناها : " أن النبي ﷺ غيرُ مسؤولٍ عن فعل هؤلاء الكفار، وذلك أن مهمته كانت مقتصرة علي البلاغ، فهو عليه تبليغ رسالة الله – عز وجل – لهم فإن شاءوا آمنوا، وإن شاءوا كفروا، وحينها لا يسأل عمّن كفر منهم، فالقراءة الشاذة المحتجّ بها لمعنى القراءة المتواترة تحمل في طيّاتها معني قول الله – عز وجل – ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ...﴾ [3]، وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ...﴾ [4]

وقد احتج بها للقراءة المتواترة ﴿ وَلَا تُسْأَلُ﴾ " والتي عليها غالب القراء وقال: "إنها تحتمل أحد وجهين: **الأول:** أن يكون في موضع الحال فتكون مثل ما عطف عليه من قوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ، ويكون ذكْرْ﴿ وَلَا تُسْأَلُ﴾ "وهو فعل بعد المفرد الذي هو قوله ﴿بَشِيرًا﴾ " كذكر الفعل في قوله: ﴿ويكلم الناس في المهد...﴾ [5] ،

(١) سورة الرعد من الآية : ٤٠ .
(٢) حجة القراءات لأبي زرعة :١٢٢.
(٣) سورة البقرة من الآية : ٢٧٢ .
(٤) سورة المائدة من الآية : ٩٩ .
(٥) سورة آل عمران من الآية : ٤٦ .

بعد ما تقدم من المفرد، وكذلك قوله: ﴿ومن المقربين﴾[١]، وهو قد يجري مجري الجمل.

الثاني : أن تكون ﴿ **وَلَا تُسْأَلُ**﴾ " كلاماً منقطعاً من الأول مستأنفاً به، ويقوّي هذا الوجه ما روي أن عبد الله قرأ " **وَلَن تُسْأَلَ** " ، وقرأ أبي بن كعب أيضا "**وما تُسأَلُ**"[٢] ، فكل واحدة من هاتين القراءتين يؤكد حمله علي الاستئناف .

ومما يجعل لهذه القراءة مزيّة علي قراءة النهي " **وَلَا تَسْأَلْ** " أن الكلام الذي قبله وبعده خبر ، فإذا كان أُشكِلَ بما قبله وما بعده كان أولى"[٣] .

وقد أبان أبو حيان عن معني قراءة ابن مسعود – رضي الله عنه – والتي احتجّ بها أبو زرعة لقراءة " **وَلَا تُسْأَلُ** " فقال : " وأما قراءة مسعود فيتعيّن فيها الاستئناف، والمعني علي الاستئناف: إنك لا تسأل عن الكفار ما لهم لا يؤمنوا، لأن ذلك ليس إليك، ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾[٤] ، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٥]﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾[٦] ، وفى ذلك تسلية له – ﷺ – ، وتخفيف ما كان يجده من عنادهم، فكأنه قيل: لست مسؤولاً عنهم، فلا يحزنك كفرهم، وفى ذللك دليلٌ على أن أحداً لا يُسألُ عن ذنب أحد: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٧][٨].

واحتجاج أبى زرعه بقراءة ابن مسعود – رضى الله عنه – جاء من ناحية معناها، وذلك أن قراءه ابن مسعود تقوّى المعنى الذى جاءت عليه قراءة عامة القراء: ﴿ **وَلَا تُسْأَلُ**﴾ فجاءت قراءة ابن مسعود مفسرة لها، لذا رجّح كثيرٌ من العلماء قراءة الرفع، منهم : مكي بن أبى طالب الذى قال عنها: " والرفع هو

---

(١) سورة آل عمران من الآية : ٤٥ .
(٢) شواذ القراءات للكرماني :٧٤ ، ومعانى القرآن للقراء ٢٢٥/١.
(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٢١٦/٢ .
(٤) سورة الشورى من الآية : ٤٨ .
(٥) سورة القصص من الآية : ٥٦ .
(٦) سورة الرعد من الآية : ٧ .
(٧) سورة الأنعام من الآية : ١٦٤ .
(٨) البحر المحيط لأبي حيان ٥٣٨/١

الاختيار؛ لأن عليه جماعة القراء، ولقراءة ابن مسعود: " **وَلَن تُسْأَلَ**": فهذا يبين معنى الرفع ويقويه، وأيضاً فإن أبيّاً قرأ "**وما تُسأَلُ**" فهذا أيضا يبيّن معنى الرفع والاستئناف ... ثم قال :" ويقوى الرفع أيضاً أنه لو كان نهياً لكان بالفاء، كما تقول: أعطيتك مالاً فلا تسْألني غيره، وبالرفع قرأ الحسن، وأبو رجاء، وقتادة، وابن أبى إسحاق، والجحدري، وعيسى بن عمر، وغيرهم(١).

وكلام مكى بن أبى طالب – رحمه الله – يفسر الحجة التي ذهب إليها أبو زرعة – رحمه الله – عندما احتج بقراءة ابن مسعود – رضى الله عنه – لقراءة عامة القراء " **وَلَا تُسْأَلُ** " وقد رأى أنها – أي قراءة ابن مسعود " **وَلَن تُسْأَلَ** " – مبيّنة لقراءة العامة من ناحية معناها وتفسيرها ومناسبتها لسياق الكلام الخبري الواقع قبلها وبعدها .

الآية الثالثة: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾(٢)

﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ (٣)

ورد في لفظ "**تَطَوَّعَ** " في الموضعين قراءتان:-

الأولي : قراءة حمزة والكسائي وخلف ﴿ **يَطَّوَّعْ** ﴾ بالغيب وتشديد الطاء، وإسكان العين علي الاستقبال، ووافقهم يعقوب في الموضع الأول .

الثانية : لبقية القراءة وهي ﴿ **تَطَوَّعَ** ﴾ بالتاء وتخفيف الطاء فيهما وفتح العين علي المضيّ – اي الماضي– (٤).

(١) الكشف لمكي بن أبى طالب ٢٦٢/١ ، والكشاف للزمخشري ٢٠٩/١.
(٢) سورة البقرة من الآية :١٥٨ .
(٣) سورة البقرة من الآية :١٨٤ .
(٤) النشر ٢ / ٢٢٣ .

وقد احتج الإمام أبو زرعة –رحمه الله – للقراءة الأولى ﴿ **يَطَّوَّعْ** ﴾ بقراءة شاذة رويت عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – وهي **(ومن يَتَطَوّعْ)** [1] فقال : " ويقوي قراءتها – أي: حمزة والكسائي– قراءة عبدالله " ومن يتَطَوّعْ" علي محض الاستقبال فأدغمت التاء في الطاء في قراءتهما لقرب مخرجها منها[2]، واحتجاج أبي زرعة بقراءة أبي مسعود – رضي الله عنه – راجعٌ لأحد أمرين:–

الأول : من ناحية المعني حيث اعتبر أبو زرعة القراءة بالياء والجزم **(ومن يَتَطَوّعْ)** الدالة علي الاستقبال أولي وأقوي عنده من القراءة بلفظ الماضي ﴿ تَطَوَّعَ﴾، ويشهد لذلك: القراءة الشاذة الواردة في مصحف ابن مسعود – رضي الله عنه – **(ومن يَتَطَوّعْ)** الواضحة بأن المراد منها فيما يستقبل، كذلك الشرط الموجود وهو: ﴿ فمن تطوع ﴾ يقوي القراءة؛ لأن الشرط لا يكون إلا بمستقبل، فطابق بذلك بين اللفظ والمعني، والتقدير: " فمن تطوع فيما يستقبل خيراً فهو خير له، فإن الله شاكرٌ لفعله عليمٌ به[3].

الثاني : أن قراءة ﴿ **يَطَّوَّعْ** ﴾ بالياء والجزم وتشديد الطاء تنبئ أن الطاء المشددة هذه مدغمة في حرف آخر دلّت عليه القراءة الشاذة التي فُكَّ فيها الادغام وظهر فيها الحرف المدغم في الطاء وهو التاء " يتطوع " وذلك لقرب مخرج التاء من الطاء كما أشار بذلك أبو زرعة – رحمه الله – .

وكأن الإمام أبا زرعة –رحمه الله – يشير بذلك إلي أصل قراءة ﴿ **يَطَّوَّعْ** ﴾ بالياء وتشديد الطاء وجزم العين، فأصلها **(يتطوع)** كقراءة عبدالله بن مسعود –رضي

(١) البحر المحيط ١ / ٦٣٢ ، ووردت في بعض المصادر " ومن يتطوع بخير" شواذ القراءات للكرماني ٧٩ ، وكذا قال ابن أبي داود في المصاحف : ١٧٣ .
(٢) حجة القراءات : ١١٨
(٣) الكشف ٢٦٩/١ ، ٢٧٠

الله عنه –، فأدغم، وأجازوا جعل خيراً نعتاً لمصدر محذوف أي: ومن يتطوع تطوعاً خيراً[١].

وقراءة ﴿ **يَطَّوَّعْ** ﴾ مرجوحة عند كثير من العلماء؛ لأن معناها علي الاستقبال، وإن كان يجوز: مَن أتاني أعطيته، فتوقع الماضي موضع المستقبل في الجزاء، إلا أن اللفظ إذا كان وفق المعني كان أحسن[٢].

وقال السمين الحلبي في بيان قراءة حمزة والكسائي وخلف ﴿ **يَطَّوَّعْ** ﴾: " فأما علي قراءتها فتكون (مَن) شرطية ليس إلا، لعملها الجزم، وأصل ﴿ يطّوّعْ ﴾ (يتطوع) فأدغم على نحو ما تقدم في ﴿يطّوَّفَ﴾[٣]، وهي في محل رفع بالابتداء، والخبر فعل الشرط علي ما هو الصحيح، وقوله: ﴿ فإن الله ﴾ جملة في محل جزم؛ لأنها جواب الشرط، ولابد من عائد مقدر أي: فإن الله شاكر، وقال أبو البقاء:" وإذا جعلت (مَن) شرطاً لم يكن في الكلام حذف ضمير؛ لأن ضمير (مَن) في ﴿تطوع﴾، وهذا يخالف ما قدمت لك نقله عن النحويين من أنه إذا كان أداة الشرط اسماً لزم أن يكون في الجواب ضميرٌ يعود عليه" [٤].

وعلي كل حال فإن معنى قراءة حمزة والكسائي وخلف ﴿ **يَطَّوَّعْ** ﴾ توضّحها القراءة الشاذة في مصحف ابن مسعود – رضي الله عنه – **(ومن يَتَطَوّعْ)** وتدلّ على معناها، لذا احتج بها أبو زرعة لقراءة: ﴿**يَطَّوَّعْ**﴾؛ لقربها منها في المعني من جهة، ولأنها بيّنت أصل القراءة المتواترة من جهة أخري، ولهذين السببين رُجّحت كفّة قراءة ﴿ **يَطَّوَّعْ** ﴾ ، وهو اختيارٌ مشروعٌ كما دأب العلماء،[٥] زيادة في إثراء المعني للقراءة المختارة دون نفي أو ردّ القراءة الأخرى التي قرأ بها كثير من القراء العشرة .

---

(١) البحر المحيط ٦٣٢/١

(٢) الحجه للقراء السبعة للفارسي ٢٤٨/٢ ، واللباب في علوم الكتب ٩٨/٣.

(٣) سورة البقرة من الآية :١٥٨ .

(٤) الدر المصون ٣٧١/١.

(٥) اختيار قراءة أو ترجيحها عند أحد من أئمة القراءات والتفسير إنما يكون لسبب ما ومنها قوة القراءة ووضوحها في المعنى، موافقتها رسم المصحف الشريف ، قراءة أكثر القراء بها، وغير

الآية الرابعة : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾[1]

لفظ ﴿**ٱلْبِرَّ**﴾ من قوله تعالي:﴿ **لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ** ﴾ فيه قراءتان:-

الأولي: قراءة حمزة وحفص بنصب لفظ ﴿ **الْبِرَّ** ﴾ علي أنه خبر ﴿ لَيْسَ﴾ مقدماً، و﴿ **أَن تُوَلُّواْ** ﴾ اسمها في تأويل مصدر[2]، ويكون المعني: ليس توليتكم وجوهكم قبل المشرق والمغرب البرَّ كلَّه[3].

الثانية: قراءة الباقين: برفع لفظ ﴿ **الْبِرُّ** ﴾ علي أنه اسم ﴿ **لَيْسَ** ﴾ ويكون ﴿**أَن تُوَلُّواْ**﴾ الخبر.

وقد جنح أبو زرعة – رحمه الله – إلي قراءة الرفع، واحتجّ لها بقراءة شاذة نسبت لأبي بن كعب – رضي الله عنه – وهي : " **لَيْسَ الْبِرَّ بِأَن تُوَلُّواْ** " [4]، ثم ذكر أبو زرعة سبب احتجاجه بالقراءة الشاذة لمعنى القراءة المتواترة ﴿ **البرُّ** ﴾ بالرفع فقال:" ألا تري كيف أدخل الباء – يعني أُبيّاً – علي الخبر، والياء لا تدخل في اسم **(لَيْسَ)**، إنما تدخل في خبرها"[5].

وقد فُهم من كلام أبي زرعة أنه احتج لهذه القراءة المتواترة بالقراءة الشاذة لقوة وجهها الإعرابي في حالة رفع لفظ ﴿ **البرُّ** ﴾، وهو أولي في رأيه من النصب، فكون ﴿**البرُّ**﴾ الفاعل أولي؛ لأن " **ليس** " تشبه الفعل، وكون الفاعل بعد الفعل أولي من كون المفعول بعده، ألا تري أنك تقول: " قام زيد " فيلي الاسم الفعل، وتقول:

ذلك من الاختيارات، وقد امتلأت كتب توجيه القراءات، والتفسير بمثل هذه الاختيارات كمكي ابن أبي طالب في الكشف، وابن أبي مريم في الموضح، والطبري في تفسيره، وغيرهم كثير .

(١) سورة البقرة من الآية :١٧٧ .

(٢) الإتحاف للدمياطي: ١٩٩ .

(٣) حجة القراءات :١٢٣.

(٤) نسبت كذلك لابن مسعود – رضي الله عنه – مختصر في شواذ القراءة :١٨ ، والمحتسب ١١٧/١ ، والبحر المحيط ٤/٢.

(٥) حجة القراءات :١٢٣.

"ضرب غلامَه زيدٌ " ، فيكون التقدير بالغلام التأخير، ولولا أن الفاعل أخصّ بهذا الموضع لم يجز هذا، كما لم يجز في الفاعل " ضرب غلامَه زيداً "، حيث لم يجز في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به؛ لوقوع الفاعل في الموضع الذي هو أخص به" [١].

هذا وجه الاحتجاج بها من ناحية قوة وجهها في اللغة العربية، وقد اختار بعض العلماء قراءة الرفع في لفظ ﴿ **البرُّ** ﴾ لأسباب منها :-

الأول: إجماع القراء علي رفع ﴿ البرُّ ﴾ في الموضع الثاني من قوله تعالي: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾[٢] ، وهذا الموضع لا يجوز فيه إلا رفع ﴿ البرُّ ﴾ فحَمْلُ الموضع الأول علي الثاني أولي من مخالفته له.

الثاني: يقوي ﴿**البرُّ**﴾ أيضاً وجودها في بعض المصاحف الخاصة للصحابة – رضي الله عنهم – والتي عُدّت آحاداً فيما بعد؛ لعدم توافقها وإجماع الصحابة عليها، فهي في مصحف ابن مسعود وأبيّ بن كعب – رضي الله عنهما – **(لَيْسَ الْبِرَّ بِأَن تُوَلُّواْ)**، وهذا لا يكون معه إلا الرفع أيضا في ﴿ **البرُّ** ﴾ [٣].

الثالث: عامة القراءة[٤] يقرؤون بالرفع وهم: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف العاشر، فالسواد من القراء علي الرفع، أما النصب فلم يقرأ به إلا حفص وحمزة فقط من القراء[٥].

الرابع: أن القراءة بالرفع هي قراءة جملة من التابعين وغيرهم من القراء المشهورين فهي قراءة الحسن، والأعرج، وشيبة، ومسلم بن جندب، وابن أبي

---

(١) الحجة للقراء السبعي للفارسي ٢/٢٧٠.
(٢) سورة البقرة من الآية : ١٨٩ .
(٣) البحر المحيط ٤/٢ ، والدر المصون ٤٠٥/١ .
(٤) كثيراً ما اختار مكي بن أبي طالب قراءة بعينها وبنى اختياره على كثرة سواد القراء ، وكثيراً ما اس ما استخدم جملة :" والاختيار القراءة بكذا ... ..لأن عليه الجماعة، وعليه قراءة العامة". الكشف لمكي ٢٨٥/١ .
(٥) النشر ٢٢٦/٢ .

إسحاق، وعيسى، وابن محيصن، وشبل، وغيرهم، كما أن القراءة برفع ﴿ البرُّ ﴾ اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، وغيرهما[١].

الخامس: من ناحية المعني[٢]، حيث كان اختيار الفراء لها؛ لأجل معناها فقال: "وفي إحدى القراءتين **(ليس البرُّ بأن)** فلذلك اخترنا الرفع في "البرُّ" والمعني في قوله: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ ، أي: ليس البرُّ كلُّه في توجهكم إلي الصلاة واختلاف القبلتين، ولكن البرَّ من آمن بالله ثم وصف ما وصف إلي آخر الآية، وهي من صفات الأنبياء لا غيرهم"[٣].

كل هذه الوجوه جعلت الكثير من العلماء يجنح إلى قراءة الرفع في ﴿ البُر﴾، لكن القراءة بالنصب متواترة وثابتة، ومجمع عليها فهذا لا ينفي القراءة بها، ولا يعنى إنكار قراءة النصب في ﴿البّر﴾، بل القراءة بها حسنة، ورجَّحها السمين الحلبى بقوله: " ورُجِّحت هذه القراءة بأن المصدر المؤول أعرف من المحلّى بالألف واللام؛ لأنه يشبه الضمير من حيث إنه لا يوصف ولا يوصف به، والأعرف ينبغي أن يُجعل الاسم، وغير الأعرف الخبر، وتقديم خبر " ليس" على اسمها قليلٌ حتى زعم منعه جماعة منهم ابن دستوريه قال: " لأنها تشبه (ما) الحجازية، ولأنها حرف على قول جماعة " [٤].

وكان لابن أبي مريم وجْهٌ وجيهٌ في قراءة نصب ﴿ البرَّ ﴾ لحمزة وحفص فقال :" ووجه ذلك أن ﴿ البرَّ ﴾ في هذه القراءة خبر (ليس)، " و ﴿أن تولوا﴾ اسمها، وإذا كان "أن" مع صلتها الاسم كان أحسن؛ لأنها تشبه المضمر في أن كل واحد منهما

(١) الكشف لمكي ٢٨١/١ .
(٢) لم يجد العلماء حرجٌ في أن يختاروا قراءة بعينها لأجل معناها ، بل إن هذا الأمر أصبح سجيّةً اتّصف بها كثيرٌ منهم، كمكي في الكشف ٢٨٢/١، وغيره .
(٣) معانى القرآن للفراء ١٠٤/١ .
(٤) الدر المصون ١/ ٤٠٥ .

لا يوصف، واذا اجتمع مضمر ومظهر كان الضمير أولي بأن يكون اسم " ليس"؛ لأنه أشد اختصاصاً من المظهر، فلذلك اختار هذه القراء من قرأ بها"[١].

وترجيح العلماء قراءةً ما لا يعدو كونه اختياراً لقراءة دون قراءة، والاختيار في القراءات القرآنية سجية اتّصف بها كثير من العلماء كالطبري، والجعبري، والفراء، ومكي بن ابي طالب، وأبي زرعة، وغيرهم كثير.

وعلي أي حال فالقراءتان في لفظ ﴿ البرَّ ﴾ بالنصب، أو الرفع: متواترتان حسنتان[٢]، وجاريتان علي اللسان العربي ، نقلتا عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، إلى أن وصلت إلينا كما نزلت على النبي ﷺ .

الآية الخامسة: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ ...﴾ [٣]

ورد في لفظ ﴿ تُضَارَّ ﴾ ثلاث قراءات:

الأولى : قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب برفع الراء ﴿ تُضَارُّ ﴾ .

الثانية : لبقية القراء بفتح الراء ﴿لَا تُضَارَّ﴾.

الثالثة : عن أبي جعفر وقد اختلف عنه في سكون الراء مخففة ﴿ لا تضارْ﴾ فروى عيسى عن طريق ابن مهران عن أبى شبيب، وابن جماز من طريق الهاشمي بتخفيف الراء مع إسكانها، كذلك موضع آخر السورة ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[٤][البقرة:٢٨٢] وروى ابن جمّاز من غير طريق الهاشمي، وعيسى عن طريق ابن مهران، وغيره عن ابن شبيب تشديد الراء وفتحها فيهما، ولا خلاف عنهم في مدّ الألف لالتقاء الساكنين[٥].

---

(١) الموضح لأبن أبى مريم ٣١٣/١ .
(٢) الكشف ٢٨٢/١ .
(٣) سورة البقرة من الآية : ٢٣٣ .
(٤) سورة البقرة من الآية :٢٨٢.
(٥) النشر لابن الجزري ٢ / ٢٢٧، ٢٢٨ .

وقد احتج أبو زرعة – رحمه الله – للقراءتين الأولى والثانية، لكون – كتابه الحجة في القراءات السبع فقط – وقال في الاحتجاج لها: " قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ﴾ بالرفع على الخبر وحجّتهما قوله قبلها ﴿ لا تكلّف نفس إلا وسعها﴾ فأتبعا الرفع الرفع نسقاً عليه، وجعلاه خبراً بمعنى النهى. فإن قلت : إن ذلك خبراً وهذا أمرٌ. قيل: فالأمر قد يجيء على لفظ الخبر في التنزيل ألا ترى قوله:﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن...﴾ (١)، وقوله:﴿ لا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾(٢) والأصل: لا تضارر براءين، والعرب لا تذكر في الأفعال حرفين من جنس واحد متحركين فسكن الأول، وأدغم في الثاني وهو وإن كان مرفوعاً في معنى النهى(٣).

ثم انتقل أبو زرعة – رحمه الله – إلى ذكر حجة بقية القراء الذين يقرؤون ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ ﴾" بفتح الراء، واحتج لمعناها بقراءة شاذة رويت عن ابن مسعود وابن عباس – رضى الله عنهما – وهى قراءة " **لا تضارِرْ** " بفك الادغام أي: براءين الأولى مكسور والثانية ساكنة، قال أبو زرعة: " وقرأ الباقون "**لَا تُضَارَّ**" بفتح الراء على النهي، وحجتهم قراءة ابن مسعود وابن عباس قرأ ذلك " **لا تضارِرْ** " براءين فدل ذلك على أنه نهي محض ، فلما اجتمعت الراءان أدغمت الأولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاء الساكنين وهذا هو الاختيار في التضعيف إذا كان قبله فتح أو ألف الاختيار ضار يا رجل(٤).

وقد احتج الإمام أبو زرعة – رحمه الله – بقراءة ابن مسعود وابن عباس – رضى الله عنهما " **لا تضارِرْ** " لقراءة غالب القراء "**لَا تُضَارَّ**" لأنها أقرب إلى المعنى الذى جاءت من أجله قراءة "**لَا تُضَارَّ**" والتى حوت معنى النهى فجاءت قراءة " **لا تضارِرْ** " الشاذة تقوية لها من ناحية معناها وكذلك من ناحية أصلها اللغوي .

---

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٢٨ .
(٢) سورة البقرة من الآية : ٢٧٩ .
(٣) حجة القراءات : ١٣٦
(٤) حجة القراءات لأبي زرعة: ١٣٦ .

وذلك لأن الآية على قراءة "**لَا تُضَارَّ**" بفتح الراء مشددة، تكون (لا) في القراءة ناهية فهي جازمة، فسكنت الراء الأخيرة للجزم، وقبلها راء ساكنة مدغمة فيها، فالتقى ساكنان فحرّكْنَا الثانية لا الأولى، وإن كان الأصل الإدغام، وكانت الحركة فتحة، وإن كان أصل التقاء الساكنين الكسر لأجل الألف إذ هي أخت الفتحة، ولذلك لما رخّمت العرب (اسحارّ)، وهو اسم نبات قالو (اسحارَ) بفتح الراء خفيفة[١]، لأنهم لما حذفوا الراء الأخيرة بقيت الراء الأولى ساكنة والألف قبلها ساكنة، فالتقى ساكنان والألف لا تقبل الحركة فحركو الثاني وهو الراء، وكانت الحركة فتحته لأجل الالف قبلها، ولم يكسروا وإن كان الأصل لما ذكرت لك من مراعاة الالف.[٢]

وقول أبي زرعة بعد ذكره قراءة ابن مسعود وابن عباس – رضى الله عنهما – :" فدلّ ذلك على أنه نهيٌ محضٌ " واضح في أنه إنما جنح واحتج بها لأجل معناها المتّسق مع قراءة "**لَا تُضَارَّ**" بالنصب المتواترة ، ويقوّي حمله على النهى أن بعده أمراً وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، و﴿والدةٌ﴾ " يحتمل أن تكون فاعله، و"**تُضَارَّ**" بمعنى يفاعل أي: " لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا فتطلب عليه ما ليس لها، وتمتنع من رضاع ولدها مضارّة، ويحتمل أن تكون مفعولة لم يسمّ فاعلها، و"**تُضَارَّ**" بمعنى تفاعل على معنى: لا تضارَّ والدة بولدها فتمتنع من ولدها في الرضاع، وهى تأخذ مثل ما تأخذ غيرها ولا تمنع من نفقته وعلى ذلك يحمل ﴿**وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ**﴾ [٣].

(١) الكتاب لسيبويه ٢ / ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(٢) الدر المصون ٥٣٦/١، واللباب في علوم الكتاب ١٧٧/٤.
(٣) الحجة للفارسي ٣٣/٢، والكشف ٢٦٩/١، والبحر المحيط ٢٥٥/١.

الآية السادسة: ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[1]

ورد فى لفظ ﴿ أَعۡلَمُ ﴾ قراءتان هما:-

الأولى: قراءة حمزة والكسائي: ﴿قَالَ اعْلَمْ﴾ " بهمزة وصل وإسكان الميم على الأصل، وفاعل " قال "، ضمير يعود على الله، أو: الملك، أي: قال الله أو الملك لذلك المارّ: اعلمْ، ويحتمل عود الضمر على المارّ نفسه، وإذا ابتدأوا كسرو همزة الوصل[2] .

الثانية: لبقية القراء ﴿قَالَ أَعْلَمُ ﴾ بقطع الهمزة المفتوحة ورفع الميم خبراً عن المتكلم [3].

وقد احتج أبو زرعة – رحمه الله – لمعنى القراءة الأولى بما ورد من قراءات أحادية نسبت إلى بعض الصحابة – رضى الله عنهم –، واحتج لمعنى القراءة الثانية بما نقله المفسرون في مصنفاتهم من تأويل المعنى على قراءة " **قَالَ أَعْلَمُ** " بهمزة القطع ورفع الميم.

وقراءة حمزة والكسائي " **قال اعْلَمْ** " بالوصل وجزم الميم احتج لها بقراءة شاذة وردت عن ابن مسعود – رضى الله عنه – وهى: " **قيل اعلمْ** "[4] كما احتج بما ورد عن ابن عباس –رضى الله عنه – الذى كان يقرأ " **قال اعْلَمْ** " ويقول بعدها:" أهو خيرٌ أم إبراهيم – عليه السلام – إذ قيل له: ﴿**واعلم أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[5] "[6].

قال أبو زرعة : " قرأ حمزة والكسائي ﴿ قال اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ جزماً على الأمر، وحجتهما قراءة ابن مسعود " **قيل اعلمْ** "، وكان ابن عباس يقرأها

(١) سورة البقرة من الآية : ٢٥٩ .
(٢) اتحاف فضلاء البشر ٢٠٩/١.
(٣) السبعة لابن مجاهد : ١٨٩ .
(٤) مختصر في شواذ القران لابن خالويه : ٢٣،وشواذ القراءات للكرماني :٩٨ ، والبحر ٣٠٨/٢.
(٥) سورة البقرة من الآية : ٢٦٠ .
(٦) معانى القرآن للفراء ١/ ١٧٤، والكشف لمكي بن أبى طالب ٣١٣/١.

أيضاً " قال اعْلَمْ " ويقول بعدها : أهو خيرٌ أم إبراهيم – عليه السلام – إذ قيل له: ﴿واعلم أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وحجة أخرى وهى: أن التوقفة بين ذلك وسائر ما تقدمه إذ كان جرى ذلك كلّه بالأمر فقيل: ﴿فانظر إلى طعامك﴾، ﴿وانظر إلى حمارك﴾، ﴿ وانظر إلى العظام﴾، وكذلك أيضاً قوله: "﴿اعلمْ أن الله﴾ إذ كان في سياق ذلك، قال الزجاج: ومن قرأ " **قال اعْلَمْ** " فتأويله أنه يُقبِل على نفسه فيقول لها: اعلمْ أيها الإنسان أن الله على كل شيء قدير"(١) (٢) .

وذهب أبو زرعة في الاحتجاج بالقراءة الشاذة إلى أنها أدخل وأقرب من ناحية معناها إلى قراءة حمزة والكسائي ﴿قَالَ اعْلَمْ﴾ بالوصل والجزم ، والتي جاء لفظها على الأمر ، فكأنه في قراءة ابن مسعود – رضى الله عنه – لما أمره الله – عز وجل – أن يمعن النظر في طعامه وشرابه وحماره والعظام التي ينشزها ثم يكسوها لحماً ، وأيقن بتحقيق هذا الأمر الذى أصبح واقعاً ، أمره حينها أن يعلم أنّ الذى فعل هذه الأشياء هو أيضاً على كل شيء قدير، فلما قال له على قراءة حمزة والكسائي ﴿قَالَ اعْلَمْ﴾ بصيغة الأمر ، جاءت قراءة ابن مسعود – رضي الله عنه – داعمة لها ومقوّية لمعناها ، لذا احتج بها أبو زرعة ، وذلك لأن ابن مسعود – رضى الله عنه – لما قرأ " **قيل اعلمْ** "، كان معناها : إذا أيقنت حقيقة ما سبق من الأشياء التي أمرتك بالنظر إليها ، وتبينت حقيقتها لديك قيل له : اعلمْ أن الله على كل شيء قدير.

والقراءة ﴿قَالَ اعْلَمْ﴾ بالوصل والجزم في الميم على الأمر لكن معناها الخبر، وذلك أنه لما عاين مسألة الأحياء، وتيقن أنزل نفسَه منزلة غيره ، فخاطبها، كما يخاطب غيره ، فقال اعلم يا نفس هذا العلم اليقين الذى لم تكوني تعلمينه معاينة، وجاء بلفظ التذكير لأنه المراد بذلك، ويبعد أن يكون ذلك أمراً من الله – عز وجل

(١) معانى القرآن للزجاج ٣٤٤/١ .
(٢) حجة أبى زرعة : ١٤٥ .

– ذكّره له بالعلم، لأنه قد أظهر إليه قدرةً، وأراد أمراً تيقن صحته ، وأقر بالقدرة ، فلا معنى لأن يأمره الله بعلم ذلك ، بل هو يأمر نفسه بذلك ، وهو جائز حسن(١).

وعلى قراءة ابن مسعود – رضى الله عنه – " **قيل اعلمْ** "، ما يدل على أنه أمرٌ من الله له بالعلم على معنى : الزم هذا العلم لما عاينت وتيقنت، وفى قراءته أيضاً موافقة لما قبلها من الأمر في قوله : " انظر الى طعامك ، وانظر الى حمارك ، وانظر الى العظام فكذلك ختمت الآية بالأمر "اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (٢)

وقال أبو على الفارسي:" من قال " اعْلَمْ "على لفظ الأمر فالمعنى يؤول إلى الخبر، وذلك أنه لما تبين له ما تبين من الوجه الذى ليس لشبهة عليه منه طريق، نزّل نفسه منزلة غيره، فخاطبها كما يخاطب سواها ، فقال : "اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" ، وهذا مما تفعله العرب ، يُنزِلُ أحدهم نفسه منزلة الأجنبي ، فيخاطبها كما تخاطبه ...، ثم استشهد الفارسي ببعض الأشعار الواردة عن العرب في شأن منزلة النفس منزل الغير، ومخاطبتها لها مخاطبة الاجنبي ، ومما استشهد به قوله:

وَدِّع هُرَيرَةَ إِنَّ الرَكبَ مُرتَحِلُ * وَهَل تُطيقُ وَداعاً أَيُّها الرَجُلُ**(٣)

فقال ودّعْ مخاطباً نفسه ، كما يخاطب غيره، ولم يقل : لأودع وعلى هذا قال : أيها الرجل ، وهو يعنى نفسه وقال :–

أَلَم تَغتَمِض عَيناكَ لَيلَةَ أَرمَداً * .....** (٤)

فكذلك قوله لنفسه "اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (٥).

---

(١) تفسير القرطبي ٢٩٧/٢٩٦/٣ ، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ٣٦٣/٤

(٢) الكشف لمكي ابن ابى طالب ٣١٢/١

(٣) البيت للأعشى كما في المحرر الوجيز لابن عطية ٣٤٧/١ ، وتاج العروس ٢٩٦/٢٢ ، وشرح شافية بن الحاجب ٣٣٣/٤ .

(٤) هذا صدر بيت للأعشى عجزه .....*** وبث كما بات السليم مسهدا
ينظر البيت في الخصائص لابن جنى ٣٢٥/٣ ، ومغني اللبيب لابن هشام : ٨١٣ ، والمحرر الوجيز لابن عطية ٣٤٧/١.

(٥) الحجة للقراء السبعة للفارسي ٣٨٤/٣٨٣/٢ .

وهكذا كان الاحتجاج بالقراءة الشاذة المنسوبة لابن مسعود – رضى الله عنه – " **قيل اعلمْ** " لمعنى القراءة المتواترة المنسوبة لحمزة والكسائي ﴿قَالَ اعْلَمْ﴾ خير شاهد لها من ناحية تفسيرها ، وبيان معناها، فكانت بمثابة إيضاح لها، وليس معنى ذلك أن نقول إن قراءة حمزة والكسائي غير واضحة – حاشانا ذلك – وإنما غاية الأمر أن القراءة المتواترة إذا وافقتها قراءة شاذة قريبة منها في معناها، فهذا يدل على قوتها ف المعنى وثراءها في اللغة، وكثيرا ما استشهد العلماء بقراءات احادية منسوبة لبعض الصحابة – رضى الله عنهم –، واستخدموها لبيان حكم فقهي، أو وجه لغوي، أو لهجة جارية على اللسان العربي ، وذلك أن مصاحف بعض الصحابة – رضى الله عنهم – كانت تحوى إلى جانب النصّ القرآني بعض المعاني، أو الأدعية ، أو المأثورات، وكذا ما نقل آحاداً، ونسب إليهم يعد من الأحرف التي نزل بها القرآن الكريم، لكنها لم تنقل إلينا متواترة، لعدم إجماع الصحابة – رضى الله عنهم – عليها حينما جمعوا القرآن الكريم ، فذكر أبي زرعة لها ،واحتجاجه بها ، لا يعدو كونه إثراءً للمعنى الذى جاءت به القراءة المتواترة، وإضافة لمزيد من المعاني المتعلقة بها .

المبحث الثاني
احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة
لمعاني القراءات المتواترة الواردة في سورة آل عمران

الآية الأولى: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (١)

ورد في لفظ ﴿وَيَقْتُلُونَ ﴾ قراءتان :-

الأولى : قراءة حمزة حيث قرأ ﴿ ويُقَاتِلُونَ ﴾ ، بضم الياء وألف بعد القاف وكسر التاء من القتال.

الثانية : قراءة الباقين ﴿ **وَيَقْتُلُونَ** ﴾ بفتح الياء وإسكان القاف وحذف الألف وضم التاء من القتل(٢).

وقد ذكر أبو زرعة – رحمه الله – حجةَ كلِّ فريق من الفريقين أثناء بيانه معني القراءة وتوجيهها فقال :" قرأ حمزة ﴿ ويُقَاتِلُونَ ﴾ بالألف وضم الياء أي: يحاربون، وحجته: قراءة عبد الله – يعني ابن مسعود – رضي الله عنه – (**وقاتلوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ** "، وقرأ الباقون: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ﴾ بغير ألف، وحجتهم: أنهم لم يختلفوا في الحرف الأول أنه بلا ألف، وهو قوله ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، وكذلك ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(٣).

وقد لوحظ أن أبا زرعة – رحمه الله – احتج لمعنى قراءة حمزة ﴿ ويُقَاتِلُونَ ﴾ بقراءة آحادية شاذة جاءت عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – وهي : **(وقاتلوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ)**(٤) ، وهو في احتجاجه هنا لا يرجح

---

(١) سورة آل عمران من الآية : ٢١.
(٢) السبعة لابن مجاهد : ٢٠٣ ، والإقناع لابن الباذش :٣٠٩ .
(٣) حجة القراءات :١٥٨ .
(٤) المصاحف لابن أبي داود :١٧٥، ومعاني القرآن للفراء٢٠٢/١، وشواذ القراءات للكرماني :١٠٩، والبحر المحيط ٤٣٠/٢ .

قراءةً علي قراءةٍ أو يختار قراءة دون قراءة، ودليل ذلك : أنه ذكر حجة الباقين من القراء كذلك، لكنه لم يستدل لها بقراءة أخري، كما استدل لمعنى قراءة حمزة بقراءة عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –، ويبدو أن الهدف الأسمى من استدلاله واحتجاجه بقراءة ابن مسعود لمعنى قراءة حمزة هو راجعٌ في المقام الأول إلي المعني، إذ أنه رأى أن قراءة حمزة ﴿ **وَيُقَاتِلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ** ﴾ تعني: يحاربون كما أشار بذلك، وهذا المعني الذي يقتضي المفاعلة، أي: المشاركة بين فريقين في القتال والحرب هو ذات المعنى الموجود في قراءة عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – فقراءته: **(وقاتلوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ)** جليّةٌ في لفظها أنها من المفاعلة، وهو المعني المراد من قراءة حمزة .

ويؤكد هذا المعني أبو علي الفارسي حيث قال :" وحجة من قرأ ﴿ **وَيُقَاتِلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ** ﴾ أن في حرف عبدالله **(وقاتلوا الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ)** فاعتبرها، وكأن معني "يقاتلونهم أنهم لا يوالونهم ليقلّ نهيهم إياهم عن العدوان عليهم، فيكونون مباينين لهم، مشاقّين لهم، لأمرهم بالقسط ، وإن لم يقتلوهم كما قتلوا الأنبياء، ولكن قاتلوهم قتال المباين المشاقّ لهم، فإن قال قائل: إنه في قراءته ﴿ **وَيُقَاتِلُونَ** ﴾ لم يقرأ – أي: حمزة – بحرف عبدالله، وترك قراءة الناس.

قيل : ليس بتارك حرف عبدالله الذي هو" **وقاتلوا** " في قراءته ﴿ **وَيُقَاتِلُونَ** ﴾؛ لأن قوله ﴿ **وَيُقَاتِلُونَ** ﴾ يجوز أن يريد به **(قاتلوا)**، ألا ترى أنه قد جاء: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾[1] ، وقال في آية أخرى ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...**﴾ [2]، وغيرها، فإذا جاء المعني لم يكن تاركاً لقراءة عبدالله،

(١) سورة الحج من الآية : ٢٥.
(٢) سورة النحل من الآية : ٨٨.

وكذلك حمزة في قراءته ﴿ **ويُقَاتِلُونَ** ﴾ يجوز أن يكون مراده به " **قاتلوا** " ، إلا أنه جاء علي لفظ المضارع حكاية للحال .

وقراءة عبد الله مسعود – رضي الله عنه – مفسّرة لمعنى، قراءة حمزة وشاهدة على معناها، لأن الله – عز وجل – أخبر عنهم بالمقاتلة لا بالقتل وهو نفس المعني الذي تعطيه القراءة الشاذة؛ لأن القتل أكثر ما يكون بالمقاتلة فأخبر عنهم بالسبب الذي يكون منه القتل(١).

والقراءتان: ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ "﴿ ويُقَاتِلُونَ﴾ يلتقيان في المعني، ولا يبعدان كثيراً، ولا ينافي أحدهما الآخر ، لأنهم إذا قاتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس فهذا يقضي أنهم قاتلوهم وقتلوهم، فإذا كانوا قاتلوهم فهذا يعني المشاركة والمقاومة بين الفريقين، واذا كانوا قتلوهم فهذا يقضي بأن الذين يأمرون بالقسط من الناس لم يشاركوهم القتال ولم تحدث منهم مقاومة، فالمعنيان قريبان ولا يتضادان شأنها شأن القراءات القرآنية المتواترة كلها القائمة علي إثراء المعني دون الخلاف الذي بمعني التباعد والتضاد والتنافر.

علي أن كثيراً من العلماء جنح إلى قراءة ﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ واختارها كالطبري، ومكي بن ابي طالب، وكان اختيارُهما قائماً علي أساسين رئيسين:-

الأول : انتظام آخر الكلام بأوله ليكون علي نسقٍ واحد، فالكلام بدأ ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ...﴾ فجاءت "يقتلون" الثانية موافقة للأولي، والآمرون بالقسط يوافقون الأنبياء لا محاله في الأمر بالقسط والنهي عن الجور، فإذا قتلوا الانبياء لم يمنعهم حرج من قتلهم أيضاً، ويؤيد هذا ما جاء في قصّتهم أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مائة واثنا

(١) الكشف لمكي بن ابي طالب :٣٣٩.

عشر رجلاً من عُبّادهم فأمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم في آخر النهار(١).

الثاني : كثرة القراء الذين قرأوا ﴿ وَيَقْتُلُونَ﴾ فعامة القراء العشرة علي القراءة بها سوي حمزة الذي قرأ ﴿ ويُقَاتِلُونَ ﴾، وقد رجّحها الطبري، ومكي بن أبي طالب لهذا السبب فقال الطبري: "والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾ لإجماع الحجة من القرأة عليه به، مع مجيء التأويل من أهل التأويل بأن ذلك تأويله(٢).

وقال نحوه مكي بن أبي طالب في الكشف(٣)، لكن الطبري جانبه الصواب في التعبير عن ذلك بلفظ الصواب، وقد قال الطبري هذه الجملة مراراً في تفسيره، ولو عبر الطبري بـ :" وأولى القراءتين عندي كذا .....، وأختار من القراءتين كذا ... ، وأرجّح قراءة كح قراءة كذا ... " لكان أحسن حتى لا يتبادر إلى أذهان العام أن الطبري عندما يقول والصواب فهذا يعني أن القراءة الأخرى غير صواب – وحاشا الطبري ذلك –، وهذا دأبه في تفسيره الذي امتلأ بهذه الجملة، والصحيح الثابت أن القراءتين: ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾، و﴿ ويُقَاتِلُونَ ﴾ صائبتان ثابتتان متواترتان نُقِلا عن رسول الله ﷺ بسندٍ صحيحٍ متواترٍ، وانفراد حمزة بها لا يعني ضعفها وإنكارها، فكم من قارئٍ انفرد بقراءات عديدة وهي ثابتة متواترة، فمخطئٌ من نسبها إلي الخطأ، أو الضعف، أو الاعتقاد أن حمزة قرأ بها لكونه رآها في مصحف عبدالله " **وقاتلوا** " كما حدث مع الفراء الذي قال عن القراءة:" وهي في قراءة عبد الله " **وقاتلوا** " فلذلك قرأها من قرأها (يقاتلون)، وقد قرأ الكسائي بها دهراً "**ويُقَاتِلُونَ** " ثم رجع، وأحسبه رآها في بعض مصاحف عبدالله "**وقتلوا**" بغير الألف فتركها ورجع إلي قراءة العامة إذْ وافق الكتاب في معني قراءة العامة" (٤).

(١) الموضح لابن أبي مريم ٣٦٥/١
(٢) جامع البيان تفسير الطبري ٢٨٤/٦.
(٣) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/ ٣٣٩
(٤) معاني القرآن للفراء ٢٠٢/١ .

وهذا الكلام من الفراء غاية في الخطورة وأبعد عن الصواب، وخلاصة ما أراده : أن حمزة قرأ بها؛ لأنه رآها مصحف عبد الله "وقاتلوا "، وأن الكسائي كان يقرأ بها ثم رجع، وهذا يعني رد قراءة حمزة ﴿ويقاتلون﴾، وقد بنى الفراء كلامه هذا علي الظن عندما قال: وأحسبه، والظن لا يغني من الحق شيئاً، والحق أن القراءة التي قرأ بها حمزة نقلت صحيحة ثابتة دون إنكار، ثم إن رسم الكلمة في الكتاب – أي القرآن الكريم – يحتمل القراءتين، فرسمها ﴿ ويقتلون ﴾ يحتمل القراءة بالألف، مثلها مثل ﴿ملك﴾ التي حذفت منها الألف في الرسم، وقرأها بعض القراء بالألف، فالأمر ليس كما زعم الفراء من أن الكسائي رجع إلي قراءة العامة لتوافق قراءته رسم القرآن، والقرآن الكريم يحتمل الرسمين.

ولو أن الطبري والفراء صاغا عباراتٍ أخري لكان الأمر أقوم من ذلك وأشدَّ تثبيتاً، وهو عين ما فعله مكي بن ابي طالب الذي التزم الأدب في اختياره قراءة العامة فقال :" وقراءة الجماعة بغير ألف أولى لينتظم آخر الكلام بأوله ولأنه إجماع"(١).

الآية الثانية: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢)

ورد في لفظ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ قراءتان:-

الأولي: قراءة الكسائي: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ بكسر الهمزة.

والثانية: قراءة الباقين: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بفتح الهمزة(٣).

وقد ذكر أبو زرعة – رحمه الله – القراءتين وبيّن المعني علي كلٍّ منهما، فقال :" قرأ الكسائي ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بكسر الألف علي معني (وَاللَّهَ لَا

(١) الكشف لمكي بن أب طالب ٣٣٩/١

(٢) سورة آل عمران من الآية : ١٧١ .

(٣) التيسير للداني : ٩١ ، وجامع البيان للداني ٩٩٤/٣.

يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)، وكذلك هي في قراءة عبد الله – يعني ابن مسعود – رضي الله عنه – **(والله لا يضيع)**، فهذا يقوي ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ " بكسر الهمزة ، وقرأ الباقون "**وَأَنَّ اللَّهَ** " بفتح الهمزة ، وهي في موضع خفض علي ﴿ بنعمة من الله وفضل ﴾ المعني: ويستبشرون بأن الله لا يضع أجر المؤمنين"(١).

واحتج أبو زرعة – رحمه الله – لمعنى قراءة الكسائي ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ بقراءة عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – "**والله لا يضيع أجر المؤمنين**"(٢) ، وقد ذهب في احتجاجه هذا إلى معنى قراءة الكسائي، إذ قراءة الكسائي على الاستئناف، فلم يعطفها علي ما قبلها، فهو علي كلامين" (٣).

وقد جعل أبو زرعة قراءة ابن مسعود – رضي الله عنه – **(والله لا يضيع أجر المؤمنين)** حجة علي قوّة معنى قراءة الكسائي التي استشكلت علي الزمخشري فقال:" إن قراءة الكسر اعتراضٌ"(٤).

وقد أجاب عنه علماؤنا بقولهم :" واستشكل كونها اعتراضاً، لأنها لم تقع بين شيئين متلازمين، ويمكن أن يجاب عنه بأن ﴿**الذين استجابوا**﴾(٥) يجوز أن يكون تابعاً لـ ﴿**الذين لم يلحقوا**﴾(٦) نعتاً أو بدلاً ، فعلى هذا يتصور الاعتراض ويؤيد كونها للاستئناف قراءة عبدالله ومصحفه **(والله لا يضيع)** " (٧) .

والقراءتان المتواتران في الآية يلتقيان في المعني ولا يتنافران ، فقراءة الفتح ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ معناها: يستبشرون بنعمة الله وبأن الله لا يضيع، فـ " أن" معطوفاً علي الباء، والمعني: يستبشرون بتوفر ذلك عليهم، ووصوله إليهم، لأنه

(١) حجة القراءات : ١٨١
(٢) معاني الفراء ٢٤٧/١ والمصاحف لأبي داود :١٧٥ ، والبحر المحيط ١٢١/٣، ١٢٢.
(٣) الموضح لابن أبي مريم ٣٩١/١
(٤) الكشاف للزمخشري ٤٦٧/١
(٥) سورة آل عمران من الآية : ١٧٢ .
(٦) سورة آل عمران من الآية : ١٧٠ .
(٧) البحر المحيط ١٢٢/١٢١/٣ ، والدر المصون ٩٨٨/١ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٤/٣٥/٦.

إذا لم يُضِعْه وصل إليهم، فلم يبخسوه، ولم ينقصوه، فهذا مما يُستبشر به، كما أن النعمة والفضل كذلك، ومن كسر فإلي ذا المعني يؤول لأنه إذا لم يُضِعْه وصل إليهم فلم ينقصوه"[1].

(١) معاني القرآن للفراء ٢٤٧/١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤٨٩/١ ، والحجة للقراء السبعة ٩٩/٩٨/٣ .

المبحث الثالث
احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة
لمعاني القراءات المتواترة الواردة في سورة المائدة

﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[1]

في لفظ " **وَعَبَدَ** " قراءتان :-

الأولى : قراءة حمزة بضم الباء من " عَبُد " وخفض "الطاغوتِ" .

الثانية : لبقية القراء بفتح الباء من "**وَعَبَدَ** " ونصب "**ٱلطَّٰغُوتَ** ".[2]

وقد احتج أبو زرعة لمعنى القراءتين السابقتين بقراءات آحادية نسبت لابن مسعود وأبي بن كعب، ومجاهد – رضي الله عنهم – ، وجعلها أبو زرعة دليلاً على قوة القراءتين في المعنى، وورودها على اللسان العربي فقال – رحمه الله – : " قرأ حمزة " وعَبُد" بضم الباء "الطاغوتِ" بالجر ، يقال : عَبَدَ وعَبُد قال الشاعر :

أَبَنِي لُبَيْنَى إِنَّ أُمَّكُمُ * أَمَةٌ وَإِنَّ أَبَاكمُ عَبْدُ** [3]

قال الفراء: الباء تضمُّها العرب للمبالغة في المدح والذم نحو : رَجَلُ حَذُر ويَقُظ ، أي مبالغ في الحذر ، فتأويل (عبُد) أنه بلغ الغاية في طاعة الشيطان، وكذا قرأ مجاهد ثم فسّره وقاله وخدم الطاغوت ، قال الزجاج : وكان اللفظ لفظ واحد يدل على الجميع كما تقول للقوم : منكم عَبُد العصا تريد : إن فيكم عبيدَ العصا ، والنصب في "عَبَدَ" على وجهين :

أحدهما : على (وَجَعَلَ مِنْهُمُ عَبَدَ الطَّاغُوتَ) .

الثاني : على الذمّ : أعنى عَبَد الطاغوت .

وقرأ الباقون : (وعَبَدَ الطاغوتَ) ولهم في ذلك حجّتان :-

---

(١) سورة المائدة من الآية : ٦٠ .

(٢) الاقناع لابن الباذش : ٣١٧، وغيث النفع للصفاقسى : ١٩٧

(٣) البيت لأوس بن حجر :ينظر تفسير الطبري ١٠ ، ٤٤٠ ، ولسان العرب ٣.٢٧٣ ، وتهذيب اللغة لأبى منصور الأزهري ١٣/٢.

- **إحداهما :** النسَق على قوله "**لَّعَنَهُ ٱللَّهُ**" "**وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ**" ، والطاغوت هو: الشيطان أي : أطاعه فيما سَوّل له ، وأغواه به .
- **الثانية :** أن ابنَ مسعود وأبيّاً قرئا "**وعبَدُوا الطاغوت**" حملا الفعل على معنى " مَنْ" ، لأن "من" واحد في لفظه ، وجمع في معناه ، فقراءة العامة على اللفظ ، وقراءتهما – أي ابن مسعود وأبيّ – على المعنى ، كما قال ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ** ﴾ [1] على المعنى ، ثم قال ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ** ﴾ [2] على اللفظ" .[3]

الناظر في كلام أبي زرعة – رحمه الله – يجد أنه احتجّ للقراءة الأولى " **عَبُد** " وخفض "**الطاغوتِ**" بما ورد في لهجات العرب شعراً ونثراً ، فاستشهد للقراءة بما ورد على ألسنة العرب من قولهم : منكم عبُد العصا ، واستشهد لها أيضاً بالبيت الوارد عن أوس بن حجر والشاهد فيه قوله : "عَبُد" بضم الباء كما قرأ بها حمزة.

ثم استشهد أبو زرعة – رحمه الله – لقراءة الباقين "**وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ**" بفتح الباء، بالقراءة الشاذة الواردة عن ابن مسعود وأبي بن كعب – رضى الله عنهما – وهى "**وَعَبَدُوا الطاغوت**"[4] ، وقراءتهما واضحة أنها على الماضي، فهي مطابقة للقراءة المتواترة في معناها وكذا مبناها ، لأن "عَبَدَ" فعل ماضي ، وكذا "وَعَبَدُوا".

وقراءة "**وَعَبَدَ**" المراد بها الماضي كما قلنا، عطفاً على ما سبقها من أفعالٍ ماضية ، وهى : لَعَنَهُ الله، وغَضِب عليه، وَجَعَل، وتقدير الكلام : وجعل منهم من عبَدَ الطاغوت، فحذف "من" ، وأبقى الصلة [5]، وقد احتج أبو زرعة

(١) سورة يونس من الآية :٤٢
(٢) سورة يونس من الآية :٤٣
(٣) حجه القراءات لأبي زرعة :٢٣٢
(٤) مختصر في شواذ القران لابن خالويه : ٣٩،٤٠ ، وشواذ القراءات للكرمانى:١٥٧،١٥٨ ، والبحر المحيط ٥٢٩/٣ وما بعدها..
(٥) الكشف لمكى:٤١٤، ٤١٥.

بالقراءة الشاذة "**وَعَبَدُوا**" التي تحوى في طيّاتها معنى القراءة المتواترة، وعبَدَ ليكون الكلام على نسقٍ واحد، فيتجانس لفظه، ويتطابق معناه، لأن الكلام من أوله على الماضي : من لعنه الله، ثم جاء آخر الكلام وعبد الطاغوت على الماضي أيضاً، ليكون اللفظ واحد فيُحمل آخرُه على أوله.

واحتجاج أبى زرعة – رحمه الله – بقراءة ابن مسعود – رضي الله عنه – راجعٌ في الأصل إلى المعنى، وكذا وجود القراءتين المتواترتين في لغات العرب .

وكلمة "عبد" بها قراءات شاذة عديدة غير التي احتج بها أبو زرعة – رحمه الله –، وقد أوصلها السمين الحلبى الى اثنتين وعشرين قراءة، غير القراءتين المتواترتين، فيصر مجموع القراءات في هذه الكلمة إلى أربع وعشريين قراءة [١]، وذهب مكي بن أبى طالب إلى أن لفظ "عَبَد" فيه أحد عشر وجهاً[٢]، وأوصلها ابن خالويه إلى تسع عشرة قراءة [٣] ، والكرماني إلى واحد وعشرين وجهاً.[٤]

ومع وجود القراءة في اللسان العرب، ومع كل هذا العدد الهائل من القراءات الواردة في لفظ "عَبَد" ، والذى يُنبئ عن ورود لهجات كثيرة في هذا اللفظ ، ونطقه بهيئات مختلفة ، إلا أن بعض الناس شَكَّك في قراءة حمزة " عبُد " بضم الباء وجر الطاغوتِ ، ونسب قارئها إلى الوهم ، وهى قراءة متواترة لا مجال للطعن فيها أو نسبتها إلى اللحن، أو الخطأ .

يقول السمين الحلبى بعد أن أفاض الحديث في توجيه قراءة حمزة "عَبُد" بضم الباء : "وإنما أشبعت العبارةَ – أي الحديث – هنا لأن بعض الناس طعن على هذه القراءة ، ونسب قارئها إلى الوهم كالفراء، والزجاج، وأبى عبيد، ونصير الرازي

(١) الدر المصون للسمين الحلبي ١٣٩٨/١ .
(٢) الكشف لمكي :٤١٥.
(٣) مختصر في شواذ القران:٣٩.
(٤) شواذ القراءات للكرمانى:١٥٨.

النحوي صاحب الكسائي ، قال الفراء : " إنما يجوز ذلك في ضرورة الشعر – يعنى ضم باء "عَبُد" – فأما في القراءة فلا ، وقال أيضاً: إن تكن لغة مثل حَذُر وعَجُل جاز ذلك ، وهو وجهُ، وإلا فلا تجوز في القراءة " [١] ، وقال الزجاج: " هذه القراءة ليست بالوجه لان "عَبُد" على فَعُل، وهذا ليس من أمثلة الجمع "[٢]، وقال أبو عبيد "إنما معنى العَبُد عندهم الأعَبُد، يريدون : خَدَم الطاغوت، ولم نجد هذا يصح عن أحد من فصحاء العرب أن العبد يقال له : عَبُد، وإنما هو عَبْد وأعْبُد ، وقال نصير الرازي : "هذا وَهْمُ مِمَّن قرأ به فليتّق الله من قرأ به"، ولْيَسْأَلْ عنه العلماء حتى يوقف على أنه غير جائز"[٣].

ثم اجاب السمين الحلبى عن كل هذه الطعون الواردة في اللفظ ، وردّ ما ذهب اليه الطاعنون فقال " قلت : قد سألوا عن ذلك العلماء ووجدوه صحيحاً في المعنى بحمد الله تعالى ، وإذا تواتر الشى قرآناً فلا التفات إلى مُنْكَرِه ، لأنه خَفِيَ عنه ما وضح لغيره".[٤]

وأقول : إن قول الطاعنين في القراءة قد يكون صواباً في غير القرآن الكريم، والأجدر بهم أن يبنوا قواعدهم على ما جاء في القرآن الكريم بقراءاته الصحيحة الثابتة ، والقرآن الكريم هو منبع اللغة ، وقد بلغ الغاية في الفصاحة والبيان، فجاء شاملاً لأفصح اللغات ، فكان الأولى أن ينقادوا ويسلّموا بصحة القراءة لغةً ومعنىً، دون الطعن فيها، وبعض اللهجات العربية التي تكون خفيّة وغريبة عند البعض، قد تكون غاية في الفصاحة عند البعض الآخر، وليس معنى أن بعض علماء اللغة لم يسمع بهذه اللغة أنها تكون منكَرة ، فهم لم يحيطوا بكل اللهجات العربية حتى يحكموا عليها بالضعف، أو الشذوذ، أو الانكار، وليس أدلّ على صحة قراءة حمزة

(١) معاني القرآن للفراء ١/٣١٤/٣١٥.
(٢) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٢/١٨٨،،١٨٧.
(٣) البحر المحيط ٣/٥٣٠.
(٤) الدر المصون للسمين الحلبي ١/١٣٩٨.

"عَبُد" وجود العديد من الأوجه التي قُرِئ بها هذا اللفظ بكيفيات مختلفة ، وهذا يعني أن اللفظ قابلٌ للنطق بهيئات متعددة ، وهو موجودٌ كذلك علي ألسنة القبائل العربية ، فلا وجه أبداً لإنكار قراءة حمزة المجمع عليها، المنقولة بالتواتر والسند الصحيح إلي رسول الله – صلي الله عليه وسلم –.

المبحث الرابع
احتجاج أبي زُرعة بالقراءات الشاذة
لمعاني القراءات المتواترة الواردة في سورة الأنعام

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾[1]

في لفظ "يَقُصُّ" قراءتان :-

الأولى : لنافع وابن كثير وعاصم وأبي جعفر وهي : " **يَقُصُّ** " بالصاد مهملة مشددة من القصص .

الثانية : لباقي القراء وهي " **يَقْضِ**" بسكون القاف ، وكسر الضاد معجمة من القضاء ، ويعقوب علي أصله في الوقف عليها بالياء.[٢]

وقد ذكر أبو زرعة – رحمه الله – القراءتين واحتجّ لهما بقوله :-

"قرا نافع وابن كثير وعاصم : "**إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ** " بضم القاف والصاد المعنى إن جميع ما أنبأ به أو أمر به فهو من أقاصيص الحق واحتج ابن عباس على هذه القراءة بقوله ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ﴾ [٣] وقال ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ ﴾ [٤] و ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ﴾ [٥] ، وأخرى قال مجاهد: لو كان يقضي لكانت يقضي بالحق والعرب تقول قضيت بالحق قال الله جل وعز {والله يقضي بالحق} بإثبات الياء والباء مع القضاء

وقرأ الباقون : "يَقْضِ الْحَقَّ" بالصاد وسكون القاف من قضي يقضي إذا حكم وفصل ، وحجتهم قوله " وهو خير الفاصلين"، والفصل يكون في القضاء لا في

---

(١) سورة الأنعام من الآية :٥٧
(٢) النشر ٢٥٨/٢ ، والاتحاف: ٢٦٤.
(٣) سورة يوسف من الآية :٣.
(٤) سورة النمل من الآية :٧٦.
(٥) سورة الأنعام من الآية :١٣٠.

القصص، وكان أبو عمرو يعتبر بهذه ، وقال : إنما الفصل في القضاء لا في القصص ، وكان الكسائي يعتبرها بقراءة ابن مسعود قال : وفي قراءته : "**يقضي بالحق**"(١)

ومن خلال النص السابق نجد أن أبا زرعة – رحمه الله – احتج للقراءة الأولى " **يَقُصُّ ٱلْحَقَّ** " بما جاء في القرآن الكريم من نظائر لهذه القراءة تقويها وترجحها ،علي قراءة "**يَقْضِ الْحَقَّ**" ، كما احتج لها ايضا بأن العرب جاءت لغتهم في لفظ " **يَقضي**" : إذا وقع بعده لفظ **الحق** أن يكون بالباء فيقولون :يقضي بالحق : ولا يقولون يقض الحق: ، ومجاهد حينما اختار قراءة " **يَقُصُّ**" ، واستبعد قراءة "**يَقْضِ الْحَقَّ**" : استدل بذلك واستشهد لها بقوله –تعالي – **"والله يقضي بالحق"**(٢) ، والمراد أن اللفظ لما كان "يقضى" جاء بعده لفظ " الحق" مقترناً بالباء ، ولا وجه لاستبعاده القراءة لتواترها وثبوتها .

كما احتج أبو زرعة – ـ رحمه الله ـــ للقراءة الثانية "يَقْضِ الْحَقَّ" بحجتين:-

- **الأولى :** سياق ختام الآية الذي ختمت به ، فهو يتفق مع قراءة " **يَقْضِ الْحَقَّ** " وختام الآية " **وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ** " ، فقول الله عز وجل – " **ٱلْفَٰصِلِينَ** " دليل قوي يرجح قراءة "يَقْضِ الْحَقَّ "، وذلك لأن الفصل يكون في القضاء، فهو متّسق مع القراءة "**يَقْضِ الْحَقَّ**" أكثر منه من قراءة **"يَقُصُّ"** الدالة علي سرد القصص، ولهذه العلة اعتبرها أبو عمرو البصري – رحمه الله – دون القراءة الأخرى .
- **الثانية:** أن الكسائي اعتبر قراءة "**يَقْضِ الْحَقَّ**" ورجّحَها علي قراءة "**يَقُصُّ ٱلْحَقَّ** "، وذلك لأن قراءة ابن مسعود – رضي الله عنه – "يقضي بالحق "(٣) ، وقراءة ابن مسعود –رضي الله عنه – **" يقضي بالحق"** (٤)، صريحةٌ في أن القراءة

(١) حجة القراءات لأبي زرعه :٢٥٤
(٢) سورة غافر من الآية : ٢٠
(٣) شواذ القراءات للكرماني : ١٦٩ ، ومعاني الفراء ٣٣٨/١ ، وتفسير القرطبي ٤٣٩/٦.
(٤) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ١٨٣/٨.

من القضاء لا من القصص، فجاءت القراءة الشاذة متطابقة في المعني مع القراءة المتواترة، لذا احتجّ بها الكسائي – رحمه الله – وكذا أبو زرعة – رحمه الله –.

والقراءة الشاذة التي احتج بها أبو زرعة – رحمه الله – نُسبت أيضاً إلى أبي بن كعب، ويحيي بن وثاب ، والنخعي، والأعمش، وطلحة، بالإضافة إلي ابن مسعود – رضي الله عنه –، وقرئ شاذاً أيضاً "**يقضي بالحق وهو خير القاضين**"(١)، وهي قراءة سعيد بن جبير، ومجاهد، وهي شديدة الوضوح أنها من القضاء لختامها بذلك، وهي ترجّح قراءة "يَقُصّ"، وكذا قراءة ابن مسعود **" يقضي بالحق"**.

وقد حدث سجال بين العلماء في مسألة اختيار إحدى القراءتين وترجيحها علي الأخرى ، ونقل هذا السجال كثيرٌ من المفسرين ، ومنهم : أبو حيان ، والسمين الحلبي ، والفارسي ، وابن عادل الحنبلي ، وغيرهم ، وذكروا ما ملخّصه :" أن أبا عمرو بن العلاء رجح قراءة "يَقْضِ " بقوله : "الفاصلين " ، وحُكِي عنه أنه قال : "أهو يَقُصُّ الحق او يقضِ الحقّ أو يقضي الحق " فقالوا : يقصُّ " فقال : لو كان "يقُصُّ" لقال : "وهو خير القاصّين " ، أَقَرَأَ بها أحدٌ ؟ وحيث قال : "**وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ** " ، فالفصل إنما يكون في القضاء ، وكأنَّ أبا عمرو لم يبلغْه : "وهو خير القاصّين " قراءةً .

وقد أجاب أبو علي الفارسي عما ذكره أبو عمرو بن العلاء فقال : "القصص هنا بمعني القول ، وقد جاء الفصل في القول أيضا قال تعالي : ﴿ **إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ** ﴾(٢)، وقال ﴿ **كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾ (٣) وقال تعالي:

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٨٣/٨ .
(٢) سورة الطارق من الآية : ١٣ .
(٣) سورة هود من الآية :١.

﴿ وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1]، فقد حُمِل الفصل علي القول، واستعمل معه كما جاء مع القضاء، فلا يلزم من" الفاصلين " أن يكون معيّناً لـ "يَقْضِ" [2] [3]

والقراءتان "يَقُصُّ" و "يَقْضِ" صحيحتان متواترتان لا وجه لإنكار أحدهما، ولا مانع من اختيار قراءة منها، وما فعله بعض العلماء من اختيار قراءة دون قراءة، أو ترجيح إحدى القراءتين علي الأخرى لا يخرج عن كونه أن هذه القراءة المختارة ، يتفق معناها مع ختامها ، فيجري الحديث في الآية علي نظام واحد قريب إلي الأذهان، علي أن القراءتين لا يتنافيان في المعني، ولا يتضادان أبداً، بل كل قراءة أثرت معنىً جديداً، لكنه لا يغاير الأخرى ، وما فعله العلماء من الترجيح لا يعدو كونه اجتهاداً منهم، دون رفض للقراءة الأخرى " يقُصُّ " التي رجحها أيضاً كثير من العلماء ، واختارها مكي بن ابي طالب وقال : " وقراءة الصاد أحب الي ، لاتفاق الحرمين وعاصم علي ذلك، لأنه لو كان من القضاء للزمت الباء فيه، كما اتت في قراءة ابن مسعود" [4] .

وقد ردّ النحاس ما ذهب إليه مكي فقال : " وهذا الاحتجاج لا يلزم ، لأن مثل هذه الباء تحذف كثيراً "[5] ، وقد تكون الباء حذفت خطأً كما حذفت لفظا لالتقاء الساكنين، كما حذفت من نحو ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾[6]، وكما حذفت الواو في ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [7]، و ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ "[8] .

---

(١) سورة التوبة من الآية :١١ .
(٢) البحر المحيط ١٤٧/١٤٦/٤ ، والدر المصون ١٦٢٩/١ ، واللباب في علوم الكتاب ١٨٤/١٨٣/٨.
(٣) الحجة للقراء السبعة الفارسي ٣١٩/٣١٨/٣.
(٤) الكشف المكي ١ / ٤٣٤ .
(٥) اللباب لابن عادل الحنبلي ١٨٤/٨.
(٦) سورة القمر من الآية :٥.
(٧) سورة العلق من الآية ١٨.
(٨) سورة الشوري من الآية :٢٤.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين أن أتمّ علي هذا البحث، وقد استطعت من خلال معايشة كتاب (حجة القراءات) لأبي زرعة – رحمه الله – أن أقف على ما جاء فيه من قراءات شاذة عديدة احتجّ بها أبو زرعة لبعض معاني القراءات القرآنية، وما هذا إلا لأهمية القراءات بأنواعها متواترة وشاذة ، وأنهما يحملان الكثير من المعاني، وقد توصّلت إلى بعض النتائج المهمّة والتي منها :

١- أن القراءات المتواترة بحرٌ زاخرٌ بالعلوم المتنوعة من : معاني ، ولغة ، وتفسير ، ورسم ، ولهجات ، وغيرها من العلوم ، وكذا القراءة الشاذة لكنّها لا ترقى أبداً للقراءة المتواترة المجمع عليها الثابتة عن رسول الله – ﷺ – .

٢- أن القراءات الشاذة علمٌ يستحقّ العناية أكثر وأكثر ، وأنها مادّة خصبة للمفسّرين ، والفقهاء ، واللّغويين ، وغيرهم ، لما حوته من قضايا عديدة ، لذا عنى بها العلماء جمعاً ، وتوجيهاً ، وقد استدلّ بها الفقهاء على استنباط بعض الأحكام .

٣- الإمام أبو زرعة – رحمه الله –شخصية علميّة تستحقّ التعمّق في البحث والدّراسة ، ولم يلْق الرجل عناية كبيرة من المؤرّخين، الذين لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا تكلموا عنها إجمالاً وتفصيلاً ، ولم يكن له من هذا الإبداع نصيبٌ في التراجم والسير يبرز حياته ونشأته ، ولعلّ قابل الأيام يأتي لنا بما عجزت عنه القرون السابقة بنفْحاتٍ من حياة إمامنا أبي زرعة تقرّب شخصيته أكثر للباحثين والدارسين ، والأمل في المخطوطات التي ما زالت قاطنةً في المكتبات العامة ولم يقم أحدٌ بتحقيقها، والعمل على دراستها.

٤- أن علم الاحتجاج بالقراءات القرآنية علمٌ نفيس ، ينثر درُرَهُ ، ويلقي بظلاله على الغوص في بحار أعماق المعاني ، لذا لقِيَ هذا العلم الكثير

من عناية المفسرين ، وأصحاب اللغة ، وعلماء توجيه القراءات ، وغيرهم ، حتى أصبح فنّاً جليلاً مستقلّاً ، يستخرج منه العلماء الكثير من المعاني والدّلالات .

٥- اتّباع الإمام أبي زرعة – رحمه الله – أسلوباً شيّقاً في كتابه (حجة القراءات) ، فالناظر فيه يرى عجباً من سلاسة عباراته ، ودقيق ألفاظه ، وثراء معانيه ، وحنكة تنظيمه التي أبدع فيها أبو زرعة أيّما إبداع ، فسار على نهجٍ قويمٍ لم يحدْ عنه من أول الكتاب إلى آخره ، ومن هنا كان (حجة القراءات) كتاباً لا يملُّه قارئُه ، ولا يشبع من نهل علمه دارسُه ، فهو بحقّ درّة مصنفات علم الاحتجاج بالقراءات .

وفي ختام هذا العمل لا أملك إلا أن أدعو الله القدير أن يجعل ما قدّمت في ميزان أعمالي ، وأن ينفع به كل من اطّلع عليه ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم – آمين–

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

واعتمدت في ذلك على المصحف المضبوط على رواية حفص عن عاصم .

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبناء الدمياطي – تحقيق: أنس مهرة – الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الثالثة – ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ .

٢- إعراب القرآن – المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) – وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم – الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .

٣- الأعلام لخير الدين الزركلي – الناشر دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة عشر– ٢٠٠٢م .

٤- الإقناع فى القراءات السبع لأبي جعفر أحمد بن على بن أحمد بن الباذش ، تحقيق / أحمد فريد المزيدي . دار الكتب العلمية . بيروت ، ط الأولى ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م .

٥- البحر المحيط – المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م – الطبعة : الأولى – تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، ود: زكريا عبد المجيد النوقي ، و د:أحمد النجولي الجمل.

٦- تفسير ابن كثير – طبعة دار طيبة للنشر– ط الثانية ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، تحقيق: سامى بن محمد سلامه.

٧- التيسير في القراءات السبع للحافظ الداني – طبعة دار الصحابة للتراث – طنطا، ٢٠٠٢م، تحقيق: جمال محمد شرف.

٨- الجامع لأحكام القرآن – المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) – المحقق : هشام سمير البخاري – الناشر : دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية – الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

٩- جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني . جامعة الشارقة الإمارات العربية المتحدة ، ط الأولى ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧م .

١٠- حجة القراءات – المؤلف: عبد الرحمن بن محمد ، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ) – محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني – الناشر: دار الرسالة .

١١- الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسي – طبعة دار المأمون للتراث بيروت – الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م – تحقيق بدر الدين قهوجي وآخرين.

١٢- الحجة في القراءات السبع ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق / أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

١٣- الخصائص لابن جني ١٤٥/٣ – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: الرابعة – بدون تاريخ .الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) – المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط – الناشر: دار القلم، دمشق .

١٤- إعراب القراءات السبع وعللها ، لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق د / عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مطبعة المدنى . المؤسسة السعودية بمصر ، ط الأولى ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢ م .

١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل – الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٦- السبعة لابن مجاهد – تحقيق: شوقي ضيف – الناشر: دار المعارف – مصر – الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ .

١٧- شواذ القراءات للكرماني – تحقيق د/ شمران العجلي – الناشر: مؤسسة البلاغ – بيروت – بدون تاريخ .

١٨- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري – الناشر – مكتبة ابن تيمية – عنى بنشره أول مرة برجستراسر عام ١٣٥١هـ .

١٩- غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي ،– الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – تحقيق: أحمد محمود الحفيان – الطبعة الأولى – ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

٢٠- الكتاب – المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) – المحقق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٢١- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى ، تحقيق د/ محيى الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، ط الخامسة ١٤١٨ هـ . ٢٠٠٢ م

٢٢- الكشاف للزمخشري – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون تاريخ – تحقيق عبد الرازق المهدي .

٢٣- كشف الظنون لحاجي خليفة – الناشر مكتبة المثنى – بغداد – ١٩٤١م.

٢٤- لسان العرب لابن منظور– طبعة دار صادر– بيروت – ط الثالثة، ١٤١٤هـ، بدون تحقيق .

٢٥- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جنى – طبعة وزارة الأوقاف– المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

٢٦- معانى القرآن ، لأبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ، تحقيق د / عبد الأمير محمد أمين الورد ، عالم الكتب . بيروت ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥ م .

٢٧- معانى القرآن وإعرابه ، لأبى إسحاق إبراهيم بن السرّى الزجاج ، تحقيق د/ عبد الجليل شلبى ، دار الحديث . القاهرة ، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٤ م.

٢٨- معانى القرآن ليحيى بن زياد الفراء ، تحقيق د / عبد الفتاح إسماعيل شلبي . دار السرور .

٢٩- المصاحف لابن أبى داود: تحقيق: محمد بن عبده – الناشر : دار الفاروق الحديثة – مصر– الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

٣٠- منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، الناشر: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

٣١- النشر في القراءات العشر لابن الجزري – طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م، تقديم الأستاذ/ على محمد الضباع.

٣٢- الوافي بالوفيات للصفدي تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي – الناشر : دار احياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .